أزاهر

دينية . ثقافية . اجتماعية

العدد ٩٣ ـ ذو القعدة ١٤٤١ هـ تموز ٢٠٢٠م

نشرة فصلية مجانية
تصدر عن أزهر البقاع

اللهم لك الحمد...أيا صوفيا
عادت لنا و العود أحمد





أزاهـــر

دينية ـ ثقافية ـ اجتماعية

مجلة فصلية مجانية تصدر عن أزهر البقاع، وهي مجلة شاملة ومنوعة، تعنى بالقضايا الدينية والثقافية والإجتماعية، يساهم في كتابتها مجموعة من أصحاب العلم والرأي الحر والفكر المستنير من لبنان والوطن العربي، قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) وبالاستناد إلى هذه الآية الكريمة وأمثالها أردنا أن تكون مجلة أزاهر (مدرسة للمتعلم وتذكرة للعالم) من أجل الرقي بالمستوى الثقافي والحضاري للقارئ الكريم، آملين أن تشارك المجلة في النهضة العلمية والفكرية لوطننا العربي وعالمنا الإسلامي، والله من وراء القصد.

Designed By : Fadi Zaarour / fadizarour1977@gmail.com - 76309245

كلمة العدد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، و أما بعد

من المؤسف أن لبنان يمرحاليا بواحد من أصعب الظروف والمحن التي شهدها في تاريخه، وهي ظروف على وشك ان تخنق اللبنانيين إن لم يتم تدارك الوضع، وإنقاذ الوطن والمواطن على حد سواء، فلبنان يعاني ما يعانيه ، وأول ما يعاني منه جور قوى قادته إلى منزلق الهاوية، بدلا من أن تقوده إلى طريق السلامة والعافية.

وهنا السؤال الذي يفرض نفسه، هل هناك من حكامنا من يسعى و يبذل جهده ليضع لبنان على سكة الخلاص، أم سيبقى غير مبال و لا يعنيه وقف هذا الإنهيار و لا الإنقاذ من هذه الأزمة الطاحنة؟

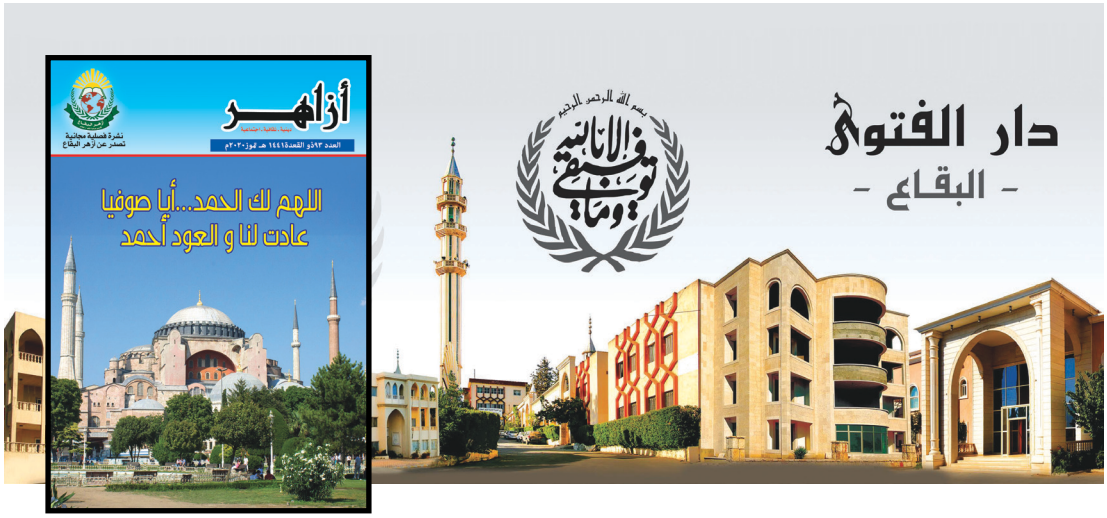
وهنا لا بد من تذكر قول سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس إن لم يبق لبنان ونحافظ على وجوده وبقائه، فلم يعد لبنان بحاجة لوجودنا وبقائنا.

و على الرغم من الإحساس بالمرارة و الألم لما حلّ بالوطن ، فإن أحدا لن يستطيع أن يسلبنا روح المواطنة ولا عنفوان الوطن و لا كبرياءه، و لا ينسي اللبنانيين دورهم تجاه أخوانهم من العرب و المسلمين ، لهذا كانت فرحتنا كبيرة بخبرعودة أيا صوفيا لحضن الإسلام ، حيث سيرتفع من جديد الأذان يصدح عاليا بالقول : الله أكبر و لا إله إلا الله محمد رسول الله ، و هكذا جاء مقال سماحة المفتي الشيخ خليل الميس بعنوان

(اللهم لك الحمد ...عادت لنا أيا صوفيا و العود أحمد)، و فيه سلط الضوء على تاريخ أيا صوفيا و من جعله مسجدا و وقفا خيريا على ملك الله و منفعة المسلمين ، و في هذا العدد كالعادة هناك مقالات دينية كمقال فكر النهضة الإسلامي و الإعلام للدكتور نادر جمعة ، و مقال بين الصوفية و الفلسفة للدكتور ابراهيم مدكور، و مقال السُنة النبوية في الخوف و الأمن للدكتور سعاد الحكيم، و غيرها، كما هناك مقالات سياسية متنوعة منها كتاب الغيبوبة كتاب الأعجوبة للدكتور رعد مقبل العبيدي، و مقال قانون قيصر و الزمن السوري للاستاذ يوسف الورداني، و مقالات في الشعر و الادب و الصحة مما اعتادت مجلة أزاهر على نشره ليطلع عليه القراء الكرام ، آملين ان ينال هذا العدد رضاهم ، و حتى نلتقيكم في العدد القادم نترككم بحفظ الله و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

أسرة التحرير :
د.رعد مقبل العبيدي
د.نادر جميل جمعة
الشيخ مروان الميس

azahermagazine@yahoo.com 08 / 622 727
nader.jomaa12@yahoo.com 76 / 754 701
marwanmais38@yahoo.com 70 / 141 360



محتويات العدد

القول الفصل.....سماحة المفتي الشيخ خليل الميس	٣
المفتي الميس العلامة الذي تجاوز الزمن.....القاضي خلدون عريمط	٧
الكتابة عن الشيخ الميس تعطي للكلمة قيمة.....أ.حسن صبرا	١٠
المفتي الشيخ حسن خالد الشخصية والرسالة.....د.رضوان السيد	١١
المسلمون في ايطاليا: صقلية عود على بدء...ترجمة عزالدين عناية	١٧
فكر النهضة الإسلامي والاعلام.....د.نادر جمعة	٢٣
السنة النبوية في الخوف والأمن.....د.سعاد الحكيم	٢٧
بين الصوفية والفلسفة.....د.ابراهيم مدكور	٣٠
فارس الخوري العالم ورجل الدولة.....د.وليد سروجي	٣٣
علة نقل القوانين الاوربية للبلاد الاسلامية.....عبد القادر عودة	٣٦
من لوازم العدل ومقتضياته .....د.علي أبوغنيم	٤٠
كتاب الغيبوبة الكتاب الاعجوبة.....د.رعد مقبل العبيدي	٤٦
قانون قيصر والزمن السوري اللبناني الصعب.....يوسف الورداني	٥٣
الاستراتيجية السياسية للإمام ابن باديس.....أ.علجية عليشة	٥٥
معالجة السلطات العثمانية للازمة الاقتصادية في لبنان.....د.علي معطي	٥٩
من روائع الشعر-أنادي الرسم لو ملك الجوابا.....الشاعر/أحمد شوقي	٦٢
وجدانيات.....د.أسماء القادري	٦٣
الكورونا نتائج ومظاهر أخرى.....د.ضرغام الدباغ	٦٤
ومايعلم جنود ربك إلا هو.....صفاء لولو	٦٦
العملة وسيلة العدوى .....د.يوسف قريشي	٧١
نترككم بحفظ الله كيف نتحاور براحة وانطلاق.....د.ربى شعراني	٧٢

القول الفصل:



اللهم لك الحمد.....عادت لنا أيا صوفيا والعود أحمد

كتبه : سماحة مفتي زحلة و البقاع الشيخ خليل الميس



بسم الله الرحمن الرحيم؛ الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين؛ أما بعد:

فمن المؤسف أن وطننا لبنان قد أصبح يتعرض لأزمات متلاحقة، الواحدة منها تلو الأخرى، ولم يقتصر هذا الحال المؤسف على لبنان وحده، بل ساءت الأوضاع في أغلب الأقطار العربية، وتدهورت الحياة في العديد من الدول الإسلامية، وحذرنا ونصحنا وشخصنا الداء واقترحنا الدواء، فما نفع الكلام، لأن أولي الأمر من الحكام في واد والشعوب في واد آخر، ولم يبقوا لها غير المعاناة والشكوى، ولما أوغل أصحاب السلطة في غيهم وما من رادع يردعهم ويوقفهم عند حدهم، صبرنا على الرغم منا، ورفعنا أكف الضّراعة إلى الله ليرفع عنا هذا البلاء، مستلهمين قوله تعالى:(وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)،البقرة ١٥٥/١٥٧.

وفي وسط هذا الواقع الأليم الذي صار سمة حياتنا، وجعل منها ظلماء كالليل البهيم، ما فقدنا عزيمتنا وما يأسنا، فنحن مؤمنون ولله الحمد، نهتدي ونعتصم بقوله تعالى:(وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الكافِرُونَ)، يوسف/٨٧.

وهكذا عمتنا الفرحة حين بشرنا بقرار المحكمة العليا التركية في ١٩ ذي القعدة ١٤٤١هـ الموافق ١٠ تموز ٢٠٢٠م بعودة أيا صوفيا مسجدا للمسلمين، وعدم شرعية ولا قانونية القرار الذي اتخذه الصهيوني أتاتورك من يهود الدونمة، بغلق المسجد سنة ١٩٣١م إلى سنة ١٩٣٥م حين أمر بفتحه متحفاً استهانة بالإسلام والمسلمين، وتزلفاً لسادته الصهاينة والغربيين.

ولهذه المناسبة السارة نرى من الضروري إلقاء الضوء على تاريخ أيا صوفيا ومتى

أصبحت مسجداً، ومن قام بذلك، ثم نمضي لنبين أوجه عدم شرعية ولا قانونية القرار الظالم الذي اتخذه الصهيوني أتاتورك.

أيا صوفيا يقال إن معناها باليونانية (الحكمة الإلهية) هي كنيسة سميت بهذا الإسم نسبة إلى قديسة قبطية من مصر كانت تعبد الأوثان، ثم تعرفت على المسيحية واعتنقتها، وأثرت بمن حولها من ناس ذاك الزمن القديم، فذاع صيتها حتى وصل أسماع الحاكم الروماني الوثني أقلوديوس فأمر بقتلها. وفي عهد الإمبراطور قسطنطين الأكبر تم نقل جثمانها إلى القسطنطينية حيث دفن وبنيت عليه الكنيسة في عام ٣٦٠م.

إن الكنيسة بعد سقوط القسطنطينية في يد الصليبيين الكاثوليك حولوها إلى كاتدرائية رومانية كاثوليكية، وبعد تأسيس الإمبراطورية البيزنطية عادت أيا صوفيا كاتدرائية أرثوذكسية وكان هذا قبل الفتح الإسلامي سنة ١٤٥٣م. كما أن مبنى أيا صوفيا تعرض للتدمير بسبب زلزال، وأعيد بناؤه، ثم دمر مرة أخرى بسبب إحدى الثورات، وأعيدت عمارته من جديد، وهو البناء القائم إلى اليوم.

ومن الجدير بالذكر أن الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، قد بشر بفتح القسطنطينية بحديث: (لتفتحن القسطنطينية على يد رجل، فلنعم أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)؛ لهذا عمد العثمانيون إلى فتح القسطنطينية وعلى رأسهم السلطان محمد الفاتح، فحاصر القسطنطينية وكتب إلى الإمبراطور رسالة دعاه فيها إلى تسليم المدينة بلا إراقة دماء، وعرض عليه تأمين خروجه وعائلته وأعوانه، وكل من يرغب من سكان المدينة. ولكن الامبراطور رد برسالة: (أشكر الله إذ جنح السلطان إلى السلم، وأنه يرضى أن ندفع له الجزية، أما القسطنطينية فإني أقسم بأني سأدافع عنها إلى آخر نفس في حياتي، فإما أن يحفظ عرشي، أو أدفن تحت أسوارها). فلما وصلت الرسالة إلى محمد الفاتح قال: (حسناً عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش، أو يكون لي فيها قبر).

وقام بجمع جنده وخطب فيهم بقوله: (إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث من أحاديث رسول الله، ومعجزة من معجزاته، وسيكون حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير، فأبلغوا أبناءنا العساكر فردا فردا. إن الظفر العظيم الذي سنحرزه سيزيد الإسلام قدراً وشرفاً، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه، فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه التعاليم، وليتجنبوا الكنائس، والمعابد، ولا يمسوها بأذى، ويدعوا القسس والضعفاء، والعجزة الذين لا يقاتلون).

وفي يوم الثلاثاء من جمادى الأولى سنة ٨٥٧هـ الموافق ٢٩ أيار ١٤٥٣م بدأ الهجوم العثماني على القسطنطينية وأخيراً تمكنت الجيوش العثمانية من دخول المدينة. (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)، الأحزاب / ٣٨ .

وهكذا تم فتح القسطنطينية عنوة، وتوجه محمد الفاتح إلى كنيسة أيا صوفيا، وقد اجتمع فيها خلق كثير، ومعهم القسس والرهبان وهم يصلون ويتلون الأدعية، وفتح أحد الرهبان أبواب الكنيسة للسلطان محمد الفاتح فطلب من الراهب تهدئة الناس، والعودة إلى بيوتهم بأمان، وعندما رأى بعض الرهبان هذا التصرف من السلطان أسلم بعضهم بين يديه وقد أعطى السلطان النصارى حرية إقامة الشعائر الدينية واختيار رؤسائهم الدينيين.

وبعد الفتح الإسلامي أصبحت أيا صوفيا مسجداً وأقيمت فيها الصلاة بحضور السلطان محمد الفاتح، وبقيت عدة قرون على هذا الحال، حتى سقوط الإمبراطورية العثمانية، وسيطرة الصهيوني أتاتورك من يهود الدونمة على مقاليد السلطة، وفي إطار الأسلوب اللاديني والإلحادي الذي اتخذه أتاتورك؛ أقدم على اتخاذ قرار إغلاق مسجد أيا صوفيا سنة ١٩٣١م ، وبقي مغلقاً حتى سنة ١٩٣٥م، عندها أعيد فتحه بعد تحويله إلى متحف، ولم يكتفوا بغلق مسجد أيا صوفيا وإنما هدموا المدرسة التي بناها السلطان محمد الفاتح بجانب المسجد، وكانت تُعدّ أول جامعة



عثمانية إسلامية.
ومن الجرائم التي ارتكبها علمانيو تركيا وحكامها الصهاينة أنهم أعدموا الشاعر(عثمان يوكسل سردنغتشي) بسبب نظمه قصائد دعا فيها إلى إعادة فتح مسجد أيا صوفيا.
ومن الجدير بالذكر أن فتح القسطنطينية حدث زمن مفاهيم قانونية مغايرة لما هو عليه الحال الآن ففي أوروبا إبتدع الفقهاء الأوروبيون مبدأ (حق الفتح) بدون قيد أو شرط ولا مراعاة لأسلوب فتح البلاد التي يتم الإستيلاء عليها، و وصفوا ما عدا الأوروبيين بـ (البرابرة الرعاع الهمج)، وكان هذا قول فقيه القانون الهولندي المشهور جروتيوس،
وسبق هذا ما سمي بالقانون الروماني الذي قسم البشر إلى طبقات وجعل لكل طبقة قانونها الخاص، وكان الرومان أرقى طبقة ولهم قانونهم الذي يفضلهم على الباقين، ولو وازنا بين النظرة إلى الناس باعتبارهم من البرابرة الرعاع والهمج، وبين ما أنزل الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز من آيات تحترم البشر جميعا وتساوي بينهم، فإننا سندرك الفرق العظيم بين النظرة الأوروبية العنصرية والمتعالية، ونظرة الإسلام الراقية للإنسانية، فالقرآن الكريم يؤكد أن الله سبحانه وتعالى هو خالق البشر من أصل واحد من ذلك قوله تعالى:(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا)، فاطر/١١. وغير ذلك من الآيات التي تؤكد وحدة الخلق والمساواة بينهم، وأن المفاضلة بين البشر هي في التقوى وهذا ما تقضي به الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)، الحجرات/١٣.

وكذلك ما جاء من أحاديث كريمة في السنة النبوية المتواترة، كالحديث الشريف «الناس ولد آدم، وآدم من تراب»، وحديث «الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى». وفي المقابل فإن الفقه الإسلامي يميز بين حكم الأرض التي صولح عليها وما فتح عنوة، فالرسول صلى الله عليه و سلم فتح خيبر بأن صالح أهلها على أن يعمروا أرضها ولهم نصف ثمرتها فكانت للمسلمين منهم، وما صولحوا عليه، على أن الأرض لهم وبقاؤهم فيها بخراج معلوم، فهذا الخراج في حكم الجزية، تسقط بإسلامهم، والأرض لهم لا خراج عليها.
أما ما فتح عنوة ففيه ثلاث روايات:
الأولى: إن الإمام مخير بين قسمتها على الغانمين وبين وقفيتها على جميع المسلمين؛ وكلا الأمر ثبت فيه حجة عن النبي صلى الله عليه و سلم كما هو مذكور بكتب الفقه الإسلامي.
الثانية: إنها تصير وقفاً بالإستيلاء عليها لاتفاق الصحابة على ذلك وقسمة النبي صلى الله عليه و سلم لخيبر كما تقدم ذكره.
الثالثة: أن الواجب قسمتها وهو قول مالك وأبي ثور لأن النبي صلى الله عليه و سلم فعل

ذلك، وفعله أولى من فعل غيره،
مع عموم قوله تعالى:(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، الأنفال/٤١.

وما حصل عند فتح القسطنطينية أن السلطان محمد الفاتح اشترى كنيسة أيا صوفيا من الروم بماله الخاص، وجعلها مسجداً وأوقفها للمسلمين على الرغم من أن المدينة فتحت عنوة، وهذا الذي قام به السلطان يدل على كرمه وحسن سياسته وسماحة الإسلام، ولم يكتف السلطان بذلك بل أبقى على كثير من الأديرة في يد البيزنطيين، بينما كان قادراً على تطبيق الحكم الشرعي فيكون من حقه تحويل نصف الكنائس إلى جوامع وترك النصف الآخر على حاله إذا أراد ذلك.

و لو تأملنا هذا الذي قام به السلطان وقسناه على ما فعله الصهيوني أتاتورك، لظهر لنا أن قرار غلق مسجد أيا صوفيا قرار وزاري وتعدّ واضح على حقوق المسلمين، لأن المسجد وقف لهم وحكم الوقف هو حبس عين المال على ملكه تعالى ومنفعته على المسلمين طلباً للأجر من الله تعالى والتقرب إليه، ومن أحكام الوقف أن لا يجوز التصرف في المال الموقوف بأي تصرف، بل يبقى الوقف قائماً لأنه مؤبد ولا يحدد بأي زمن، وما قام به السلطان هو وقف خيري، وعلى الرغم من ذلك فقد عمد الصهيوني أتاتورك على إنهاء الوقف من دون وجه حق، وهذا تجاوز على حقوق الله سبحانه وتعالى فقد جاء في القرآن الكريم (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)، الجن/١٨.

والله سبحانه وتعالى يقول:(تلك حدود الله فلا تقربوها)، التوبة/١١٢؛ ويقول تعالى:(تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)، البقرة/٢٢٩.

ونلفت الإنتباه إلى زعم الصهيوني أتاتورك بأنه علماني، ونقول: إن من المفهوم الذي يشاع عن العلمانية الزعم بأنها تساوي بين المواطنين، ولا تفضل أحد الأديان على غيره، وتسمح في حرية ممارسة المعتقد والشرائع الدينية بما يشكل صيانة لحقوق الإنسان والأقليات الدينية، فأين هذا المفهوم مما قام به الصهيوني أتاتورك من التعدي على دين المسلمين عموما والأتراك خصوصا بغلق مسجد أيا صوفيا وتحويله إلى متحف، علماً أن الإسلام هو دين الغالبية المطلقة من الأتراك وليس دين أقلية تركية !

ومما يستحق الذكر أن الشاعر حافظ إبراهيم نظم قصيدة تأثراً بما أقدم على فعله الصهيوني أتاتورك ومما جاء فيها:

أيا صوفيا حان التفرق فاذكري
عهود كرام فيك صلوا وسلموا
فلا تنكري عهد المآذن إنه
على الله من عهد النواقيس أكرم

وظلت أجيال ترددها وتتحسر على مجد أفل، ومقدسات اعتدي عليها؛ وكان هذا في ثلاثينيات القرن الماضي وما بعدها.

أما اليوم في عام ٢٠٢٠م فقد مَن الله بفضله على المسلمين وعادت أيا صوفيا مسجداً كما كانت وكما يجب أن تكون ،
(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)،الجمعة/٤. وهكذا تغنى الشعراء بهذه الفرحة الميمونة فقال قائلهم:

أيا صوفيا لم يطمس الحق واقع
فقد عدت إلى الإسلام والفجر طالع
وعدت إلى الصلوات ركناً ومسجداً
وضاءت بك بعد الظلام السواطع
أيا صوفيا في النفس سعد وبهجة
وفي نفس أوروبا تثور المواجع
مهما يستطيل البغي لابد زائل
وأن الذي يقضي به الله واقع

ونختم بالقول :
اللهم لك الحمد، أيا صوفيا عادت لنا والعود أحمد. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



المفتي الميس..العلاّمة الذي تجاوز المكان والزمان

كتابة : القاضي الشيخ خلدون عريمط
رئيس المركز الإسلامي للدراسات والإعلام)



ربّما لم يكن يخطر ببال المختار محي الدين الميس أنّ إبنه الأصغر الذي أسماه خليل، والمولود عام ١٩٤١ م ببلدة مكسه الخير البقاعية، سيملأ المكان والزمان علماً وخلقاً وتواضعاً وزهداً وكرماً، بما سيُنشئ من مؤسسات تربوية وإجتماعية ستبقى صدقة جارية إلى ما شاء الله.

بعدما تلقى الطالب خليل الميس علومه الإبتدائية في مدرسة قب الياس، حاز على الثانوية الشرعية من معهد أزهر لبنان ببيروت عام ١٩٦٣، لينتقل بعدها إلى جامعة الأزهر الشريف في القاهرة ليحصل على شهادتي البكالوريوس والماجستير من كلية الشريعة عام ١٩٦٩. وبينما هو يتابع دراساته العليا على يد علماء الأزهر وشيوخه الكرام في القاهرة، إنتخبت القيادات الإسلامية في لبنان بعد مخاض عسير مفتي الإصلاح والمؤسسات والنهوض العلاّمة الشيخ حسن خالد في أواخر عام ١٩٦٦، الذي إستقبلته القاهرة بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر إستقبالا تاريخيا بإعتباره المفتي الجديد و كان ذلك بداية عام ١٩٦٧، وقتها إلتقى العلامة المفتي حسن خالد الطلبَة اللبنانيين في الأزهر الشريف ومن بينهم الطالب المميّز خليل الميس والذي طلب منه العودة إلى بيروت بعد إنتهائه من دراسته العليا، لينهض بمعهد أزهر لبنان ببيروت.

وعاد الشيخ خليل الميس الممتلئ نشاطاً وشباباً وعلماً وثقافة أزهرية ورسالة ودعوة إلى سيّدة العواصم بيروت، ليتولى إدارة معهد أزهر لبنان فيها عام ١٩٧٠، ومعه بعض أقرانه من متخرّجي الأزهر الشريف، وليكون آنذاك البقاعيّ الأول الذي تسلّم موقعاً تربويّا إسلاميا هامّا بجانب مفتي الجمهورية العلاّمة الشيخ حسن خالد، الذي حمل عبء الدفاع عن وحدة الوطن والمواطنين

في كل لبنان، وسار في دربه وسيرته، متجاوزاً المكان والزمان بعلمه وإحتضانه لطلاب الأزهر، ولينتشر طلابه ومُريدوه من عكار إلى طرابلس، ومنها إلى جبل لبنان والبقاع وصيدا وصور وشبعا وكل الجنوب، حتى غدا العلاّمة الميس مقصِداً لطلاب العلم الشريف وطالباته في مقرّه أزهر لبنان بجانب دار الفتوى ببيروت، الذي لم يفارقه ليلاً أو نهاراً، حيث يتفقّد طلابه فرداً فرداً، ويسأل عن أسرهم وأحوالها، ويسهر عليهم علماً وغذاءً فكرياً ومادياً، و كان بعضهم من لبنان وسورية، و اليمن و السعودية ومِصر والجزائر وتونس، و من دول إفريقية وآسيوية أيضا.

وعلى الرغم من الحروب العبثية التي بدأت في لبنان عام ١٩٧٥، و إنتشرت في شوارع بيروت وأزقّتها وصراع الميليشيات على المغانم والمكاسب، بقي العلاّمة الشيخ خليل الميس منتصب القامة، مرفوع الهامة، محتضناً طلاّب الأزهر ومريديه في بيروت، وملازماً للمفتي العلاّمة الشيخ حسن خالد وهو يصارع سياسيا ووطنيا، محليّا وعربيّا للحفاظ على لبنان ووحدته وتنوّعه وهُويّته العربية في مواجهة مشاريع الصهينة والتمذهب والطائفية التي كادت أن تنهي الكيان اللبناني.

و هكذا عاش العلاّمة الشيخ خليل الميس مآسي الحروب العبثية ببيروت، بين رؤساء الميليشيات اللبنانية من ناحية والمقاومة الفلسطينية من ناحية أخرى، والصراع بين الفصائل الفلسطينية أحياناً، و مع مفتي الجمهورية الحالي الشيخ عبد اللطيف دريان والدكتور يحيى الكعكي، لعب الشيخ خليل دوراً كبيراً في تقريب وجهات النظر على طريق المصالحة، و وقف تدهور الأوضاع، وشاءت لي إرادة الله أن أكون معهم في تخفيف آلام الناس ومنع التجنّي عليهم، بل وإختطاف بعضهم بحجج واهية. و بجانب العلاّمة المفتي الشيخ حسن خالد إستمر العلاّمة الميس يلملم ويبلسم جراحات الفلسطينيين في بيروت والبقاع وطرابلس، وفي عام ١٩٨٢ شهد العلاّمة الميس مع المفتي حسن خالد حصار بيروت من قبل العدو الصهيوني وإجتياحها بعد ذلك لإخراج المقاومة الفلسطينية من لبنان، وإلحاق لبنان بالمشروع الصهيو-أميركي لتمزيق لبنان والمنطقة و لإبقاء فلسطين محتلة من دعاة المشروع الصهيوني في أرض فلسطين المباركة.

وخلال حصار بيروت صمد العلاّمة الشيخ خليل الميس في مقرّه ببيروت بجانب المفتي الخالد الشيخ حسن خالد ومعهما رجل الفكر والعلم الدكتور حسين القوّتلي المدير العام لدار الفتوى، ونخبة من الفتية العلماء متنقّلين ومتابعين لأماكن تنقلات المفتي حسن خالد، الذي مع أبناء بيروت وأبناء بعض المناطق دعم الإنتفاضة العسكرية ضد الوجود الصهيوني في أرض سيّدة العواصم بيروت. وشاءت ليَ إرادة الله أن أكون مشاركاً وشاهداً في هذه الحقبة من مقاومة بيروت وأهلها لعصابات الجيش الصهيوني، وما رافقها من تحرير بيروت والإنسحاب تدريجيّا نحو جنوب الوطن. حينها كان العلاّمة الميس ينتقل بين المتحاورين والمتقاتلين ما بين بيروت و البقاع، وصيدا و طرابلس ، ودار الفتوى وبكركي ومقرّ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ومقر البطريركية الأرثوذكسية ومشيخة عقل الموحدين الدروز، وأحياناً يذهب إلى إقليم الخروب، لتضميد الجراح وحمل المواد الغذائية إلى هنا وهناك بمتابعة من المفتي الصابر والصامد الشيخ حسن خالد، ومؤازرة الدكتور حسين القوتلي وأعضاء المجلس الاستشاري، والمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في دار الفتوى.

ان العلاّمة الميس بعلمه وفضله تجاوز الزمان والمكان، فهو عضوٌ في المجلس الإستشاري لدار الفتوى، وهو عضوٌ في المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، وهو ممثل مفتي الجمهورية هنا وهناك، وعضو المجمَع الفقهي العالمي التابع لمنظمة تعاون الدول الإسلامية بجدة في المملكة العربية السعودية، هذا و أن الشيخ حسن خالد عين الشيخ خليل مديراً لأزهر لبنان، وأستاذاً في



كليّة الشريعة والمعهد العالي للدراسات الإسلامية في بيروت، كما كان الشيخ خليل يشارك في المؤتمرات العربية والإسلامية الفقهية وغيرها ، ممثلاً مفتي الجمهورية حينا وبصفته الشخصية حينا آخر.

ان العلّامة الميس الذي قد تجاوز الزمان والمكان بسعة أفقه وعلمه وزهده، عيّنه مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد آنذاك مفتٍ لزحلة والبقاع عام ١٩٨٥، إلى جانب مهامه المتعددة ليتوزّع عمل العلّامة المفتي الميس إسبوعيّا بين بقاع الخير و بيروت سيّدة العواصم، وليشهد البقاع منذ عام ١٩٨٥ فجراً جديداً لنهضةٍ إسلامية ووطنية جامعة لتبقى شعلتها مضيئة بسماء لبنان عندما على ربوةٍ بقاعية أنشأ العلّامة المفتي الميس أزهر البقاع وصندوق الزكاة بمباركة ودعم العلّامة المفتي الشيخ حسن خالد ، وبعدها جامعة الأزهر، لتكون شاهدةً على التاريخ والجغرافيا والوجود، ولتكون البداية لنهوض أمة إقرأ بأفواج علمائها الموزّعين على كل بقاع الدنيا وإلى ما شاء الله.

حسبُكَ أيّها المفتي الميس علّامة هذا الزمان، أنك أعطيت وأعطيت، وزرعت وزرعت علما ومؤسسات ورجالاً أوفياء وعلماء صادقين ومؤمنين تبوّؤا أعلى المواقع والمراكز الإسلامية، من أوقافٍ ومحاكم شرعية وإفتاء، ولم يبدّلوا تبديلاً.

حسْبُكَ أيّها العلّامة المفتي الميس، أنك بقيت كبيراً بعِلمك وأخلاقك وكرمِك وزهدك ونظافة كفّك وتواضع العلماء في شخصك. وليُخاطبُكَ مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان بأكثر من مناسبةٍ بقوله لك: أستاذي ومعلّمي، ومعلّم القضاة والعلماء في وطنك لبنان.

حسْبُكَ أيّها العلّامة المفتي الميس أن مقرّك في الإفتاء وأزهر البقاع وفي دارتك في بلدة (مكسة) هو مقصِدٌ للرؤساء والوزراء والعلماء والنواب، ليشهدوا ويشاهدوا حكمة وسماحة العلماء الذين نهلوا من الإسلام الحنيف إيماناً وفكراً وسلوكاً ليكونوا كما أرادهم الله أمَّة وسَطا و ليكونوا شهداء على الناس لسموّهم وحرصهم على كرامة الإنسان، الذي أراده الله تعالى أن يملأ الدنيا علماً وأخلاقاً وعدلاً.

حسْبُكَ أيّها العلّامة المفتي الميس أنك ما زلت بعلمك وفضلك وسيرتك المباركة، وإلى ما شاء الله، شجرة باسقة مثمرة في كل فصول العام، وليَ شرف الإنتماء إلى واحدةٍ من ثمارها المستمرة عطاءً وبذلاً ونورا وهداية بإذن الله تعالى.



الكتابة عن الشيخ الميس تعطي للكلمة قيمة

بقلم حسن صبرا

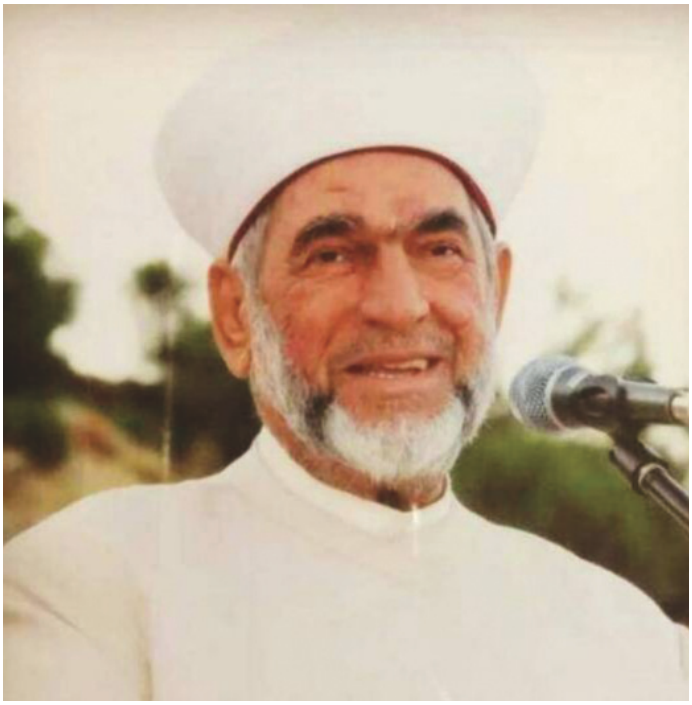
مجلة الشراع ١٩ حزيران ٢٠٢٠

لا يمكن الحديث عن المفتي المظلوم الشيخ حسن خالد من دون ذكر رجالات كبار حوله وفي مقدمتهم المفتي الشيخ خليل الميس،

و يحضرني ما كان يردده الماريشال مونتغمري بأن القائد الناجح هو ليس الذي يضع خطط المعارك وينتصر فيها فقط بل أيضاً هو من يعرف كيف يحيط نفسه بقادة يتناغمون معه في هذه الخطط.

إن أخلاق ودماثة وطيبة وعلم الشيخ خليل الميس تجعله قامة بذاته، وهو العالم الإنسان وهو العروبي الذي أستطيع أن أقول عنه الناصري، وهو قبل هذا إبن هذه البقاع العربية التي أنجبته، فكان وفيّا لها وهو يؤسس أزهر البقاع إمتداداً لأزهر لبنان النابع من رحم أزهر مصـــر أم الدنيا، ثم لتتبع جامعة أزهر البقاع مؤسسات جديدة كصندوق زكاة الأزهـــر و غير ذلك.

لذا لا أتعجب إذا كان هناك إجماع على أن المفتي الشيخ خليل الميس لا أعداء له، فهو يقرّب ولا يبُعد، و بهذا يعتمد الكلمة الطيبة صدقة ، مصداقا لقول الرسول العربي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، و الشيخ خليل



الميس يقولها ليل نهار للبشر ويكسب الصدقات عند الله.. وأحباب الله هم خلقه وهم عند الشيخ الميس سواسية، فهو يبتسم للجميع حيث يلقاهم هاشاً باشاً، و هذه هي إحدى صفات رسولنا العربي الأكرم..

وإذا كان السؤال عمّا هي مناسبة هذه الكلمة عن المفتي الشيخ خليل الميس، فالجواب هو أن لمثله تنحني الكلمة وهي تصف تواضعه فيغنيها لتعلو قيمة كلما وصلت إلى من يعرف.. ومن لا يعرف الشيخ العلامة الطيب المفتي الإنسان خليـــل الميـــس. أذكر أنّ



الفتي الشيخ حسن خالد
الشخصية و الرسالة و الخير العام

كتابة : د.رضوان السيد

كاتب وأكاديمي وسياسي لبناني
أستاذ الدراسات الإسلامية في الجامعة اللبنانية

المرة الأولى التي سمعت فيها تعبير «الخير العام» كانت عام ١٩٦٤ من فم الشيخ حسن خالد، وكان وقتها قاضياً شرعياً في جبل لبنان (محكمة شحيم)، ويدرّسنا بالمعهد الديني ببيروت (الكلية الشرعية أو أزهر لبنان) مادة التوحيد أو العقيدة. أما أستاذنا البارز الآخر فكان الشيخ محمد فهيم أبو عبية، رئيس البعثة الأزهرية، وكان يدرّسنا مادة التفسير. وقد بقيت هذه المسألة في خَلدي لأنّ نقاشاً دار بين الأساتذة في الندوة الجماعية الرمضانية بالمعهد. وكان الشيخ يؤْثِر المصطلح القرآني المعروف: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، باعتبار ذلك مهمتنا نحن علماء الدين أخذاً من قوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكمْ أُمَّة يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وأولئك هم المفلحون}. أما القاضي خالد فقال إنّه لا مُشاحّة في الإصطلاح، لكنّ مفرد الخير أعمّ وهو يشمل الزكاة والصدقات وسائر أعمال البرّ وما له علاقةٌ بالشأن العام والمصالح الكبرى والأساسية للناس، وطنية كانت أو دينية. وقد تكرّر المصطلح في القرآن مئات المرات. وأضاف أنّه يفكّر في كتابة كتابٍ عن نظرية الخير في الإسلام. وأذكر أنّ الشيخ فهيم قال لنا وهو خارج من القاعة ونحن محيطون به: «معروفٌ أو خيرٌ كما يريد الشيخ حسن، شوفوا يا أولاد: ضعوا عيونكم



على حسن خالد فهو الأمل في الإصلاح».

لقد صحّت نبوءة الشيخ فهيم أو خطّته، لأنّ السفير المصري الشهير عبد الحميد غالب، يعاونه الشيخ فهيم باعتبار نفوذه في أوساط رجال الدين اللبنانيين الذين يشاركون في انتخاب المفتي، إلى جانب شبان العروبة الناصرية آنذاك وبينهم فيما أذكر الدكتور صبحي الصالح، وعزت حرب، وحسين

القوتلي، ومحمد بركات، ومصطفى منصور، وعشرات آخرون من زملائهم؛ هؤلاء جميعاً قاموا بعملٍ «ثوري» خلال سنةٍ ونصف: طلبوا من المفتي الشيخ محمد علايا رحمه الله الاستقالة، وأزاحوا من الطريق الشيخ شفيق يموت رئيس المحكمة الشرعية الذي كان شديد الطموح، ودعوا لانتخاباتٍ لمنصب مفتي الجمهورية من جانب الهيئة العامة للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، فاز فيها الشيخ حسن خالد بأكثريةٍ كبرى عام ١٩٦٦. وفي العام نفسه أكمل المفتي خالد انتصاره بزيارة مصر بدعوةٍ من الرئيس جمال عبد الناصر حيث استقبل بالمطار وبالجامع الأزهر من جمهور حاشد، وخطب الجمعة بالأزهر، واستقبلَه الرئيس جمال عبد الناصر مرّتين. وقد جمعنا المفتي بقاعة الفندق بالقاهرة (وكنّا جميعاً نحن الذين درَّسنا الشيخ حسن في بيروت قد ذهبنا في عامي ١٩٦٥ و١٩٦٦ للدراسة بكليات الأزهر بمنح من مصر ومن دار الفتوى) وقال لنا إنّنا على موعدٍ مع الإصلاح والتجديد، وينبغي أن تتقدّم لدينا إعتبارات الرسالة على إعتبارات الوظيفة. ولولا هذه الآمال بالنهوض لآثر البقاء في منصبه القضائي.

لقد بدأ المفتي خالد التجديد المؤسسي بالفعل فأتى بقضاةٍ جددٍ، وغيّر إدارة المعهد الديني، وإدارة الأوقاف. بيد أنّ هزيمة العام ١٩٦٧ عاجلت الجميع، فانحسر النفوذ المصري السياسي والديني عن لبنان، كما انحسرت الشهابية التي كان المفتي محسوباً عليها، في انتخابات العام ١٩٦٨. ثم بدأ صراعٌ على رئاسة «المقاصد» لا أدري لماذا تورّط المفتي فيه. فحصل نوعٌ من الانكفاء ضاءلَ من إجراءات وتصرّفات الإصلاح والانتفاح.

وقد قال لي المفتي عام ١٩٧٠ وكنتُ قد عدتُ وتوظفتُ بدار الفتوى: «كل المشروعات الإصلاحية تمرّ بمدٍّ وجزر، لا ينبغي تضييع البوصلة. لقد صار لدار الفتوى عقل، ونريد الآن أن يكون لها لسان. لذلك ارتأينا أنا والشيخ صبحي الصالح والدكتور حسين القوتلي أن ننشئ مجلة جامعية وثقافية تكون ناطقة باسم دار الفتوى اسمها: الفكرالإسلامي، ويكون رئيس تحريرها الشيخ عبد الله العلايلي وسكرتير تحريرها أنت رضوان السيد، فقد أعجبتنا المقالات التي كتبتها من القاهرة لعددي صفر (١)، وصفر (٢) من المجلة».

وقد مضينا في المجلة مُضياً ممتازاً، واستكتبتُ فيها أساتذتي بالأزهر، ودعوتُ لدار الفتوى أستاذي الدكتور عبد الحليم محمود الذي صار شيخاً للأزهر، فخطب أيضاً في الحفل السنوي للمقاصد، والذي رجوتُ من ورائه تحسين العلاقة بين الرئيس صائب سلام والمفتي خالد. كما دعونا الدكتور محمد البهي للمحاضرة بدار الفتوى عن العلمانية، حيث تناقش مع الدكتور حسن صعب – كما تناقش مع آخرين في مسألة البنوك الإسلامية. وبالطبع فإنّ المفتي خالد كان يترأس كل المناقشات ويشارك فيها.

في صيف العام ١٩٧٢ سافرتُ لدراسة الدكتوراه في ألمانيا. وقد ساعدني المفتي والشيخ طه الولي في الحصول على المنحة الدراسية هناك. ولأنّه كان يتابعني مع الدكتور القوتلي، فقد كتب لي بعد عدة أشهر إذا كان من الممكن دعوة رئيس مؤسسة «أديناور» التي أعطتني المنحة للبنان، رجاء الحصول على مِنَح أُخرى لشبّان الدراسات الدينية بألمانيا. وقد حصل ذلك بالفعل وأرسلت دار الفتوى زملاء آخرين حصلوا مثلي على الدكتوراه.



وعندما عدتُ عام ١٩٧٧ وتوظّفتُ بالجامعة اللبنانية، صرت أتردّد على الدار وأشارك في التفكير والكتابة.

فيما بين الستينات والثمانينات، وقد تعاملت مع الشيخ حسن خالد خلالها أستاذاً ومفتياً وعاملاً في الشأن العام، شهدتُ اختلافه بالفعل عن رجالات الوسط الديني في لبنان. فشخصيته تبعث على الهيبة والإحترام والثقة. ولديه وعيٌ قوي بأنّه يمتلك مهمة يكون عليه أن يؤدّيها في المجال الديني والمجال الوطني. وهو يتردّد كثيراً في الخوض في أيّ مسألة عامة، لكنّه إذا قرّر فإنّه يهتم بأدق التفاصيل. وعلى الرغم من إعتباره أنّ العمل في الشأن العام يدخل ضمن مهمات الخير العامّ لحفظ المجتمع، فقد إشتدّت به الحيرة سواء لجهة العمل الفلسطيني المسلّح من لبنان ثم لجهة التدخل السوري بلبنان. وبعد الإنكفاء المصري، وضع ثقته في المظلّة السعودية. وكان يزعجه أنّه لا يمكن التشاور مع السعوديين في كل مسألةٍ عارضة، ولذلك سرّه أن يظهر رفيق الحريري وسيطاً سعودياً يمكن التشاور معه في كل وقت بعد نقل السفير علي الشاعر وصيرورته وزيراً للإعلام، فمع الحريري يمكن الإختلاف دونما خشية من إغضاب المرجعية.

كان الشيخ حسن يرى أنّ الكفاح الفلسطيني والمطامع السورية أكثر من طاقة المسلمين واللبنانيين وقدراتهم وقدرات بلادهم على التحمل، وقد عرفتُ من حديثٍ له مع النائب إدوار حنين، وحديثٍ آخر مع ياسر عرفات، أنّه كان ضد إتفاق القاهرة عام ١٩٦٩، وأنّه أبلغ ذلك للرئيس جمال عبد الناصر. وكان شديد الحبّ لكمال جنبلاط وللشيخ محمد مهدي شمس الدين ولاحقاً للبطريرك صفير الذي لم تطل صحبته له بسبب إستشهاده عام ١٩٨٩ في حين صار صفير بطريركاً عام ١٩٨٥.

عندما أغتيل كمال جنبلاط؛ فقد كانت تلك ليلة ليلاء على حسن خالد. وقد إتصل في الليلة نفسها بصائب سلام ومحمد مهدي شمس الدين وحذّرهما، فقال له شمس الدين: «مع أنّه لا يُنجي حَذَرٌ من قَدَر، أرى أنّ عليك أنت أن

تكون الأشدّ حَذَراً!».

وكان يرى أنّ الكفاح الفلسطيني والمطامع السورية أكثر من طاقة المسلمين واللبنانيين وقدراتهم وقدرات بلادهم على التحمل. وقد قال مرّة للرئيس شفيق الوزّان وللشيخ شمس الدين: «الفلسطينيون يتحدثون باسم المسلمين مع المسيحيين، والسوريون يتحدثون مع المجتمع الدولي باسم اللبنانيين والفلسطينيين، وكلا الطرفين يطلبون الثمن من السعوديين ومن الأميركان والفرنسيين. وهذا الأمر كلّه غير طبيعي، فلا بد من وحدةٍ مستعادةٍ بين المسلمين والمسيحيين لكي نكون دولةً مستقلة تتحدث مباشرةً إلى الجميع وبدون حاجة إلى وسطاء لا يلتمسون في الحقيقة غير مصالحهم هم!».

ما كان «المفدي» (هكذا كان أهل بيروت يسمّونه منذ أواخر السبعينات وإلى اليوم) حسن خالد يحبّ الإجتماعات الكثيرة ولا الكبيرة. لكنّ الإنسحاب الصهيوني من بيروت، والذي حصل قبله الإنسحابان الفلسطيني ثم السوري، ودخول قوات الرئيس أمين الجميّل إلى المدينة المنكوبة فاتحةً، ترك فراغاً واحتقاناً، وفرض تحدّيات، وقعت كلها على عاتق «المفدي» خالد ومحمد مهدي شمس الدين! وذلك لأنّهما كانا فوق نزاعات الأطراف المشاركة في الحرب والسياسيين غير المشاركين. وهكذا حفلت دار الفتوى بشتّى أنواع الإجتماعات بين عامي ١٩٨٢ و١٩٨٨.

وكانت الإجتماعات دائماً تبدأ بين المفتي الشيخ حسن خالد والشيخ محمد مهدي شمس الدين، وكلٌ منهما يخبر جماعته ويستشيرهم، ويخبرون وليد جنبلاط عندما تكون هناك حاجة، وبخاصة بعد ٦ شباط عام ١٩٨٤.

كانت القضايا الأعجل أواخر العام ١٩٨٢ ثلاثاً: ضرورة مخاطبة المسيحيين بما يتجاوز النزاعات المسلحة والسياسية إلى الأفق الوطني، وضرورة التشاور في ذهاب السلطة اللبنانية إلى التفاوض مع الكيان الصهيوني على الإنسحاب، وما قد يقتضيه ذلك من «معاهدة» ، ربما تشبه كامب ديفيد أو ما هو أسوأ، والنظر في كيفية التصرف مع قوات الجيش والأجهزة الأمنية، والقوات اللبنانية التي دخلت إلى بيروت الغربية والضاحية بعد الإنسحاب الصهيوني.

بعد شباط ١٩٨٤، كان همّ «المفدي» الشيخ حسن خالد إنهاء الحرب الأهلية، وإزالة الاحتلال الصهيوني عن الأرض اللبنانية. وقد رأى الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ووافقه المفتي خالد، أنّه لا بد من إصدار إعلان باسم المسلمين بشأن التزاماتهم الوطنية، والإصلاحات التي يطالبون بها في النظام؛ بحيث يكونُ الوطنُ لجميع بنيه، وتسلّم بهويته الوطنية وإنتمائه العربي، وتكون المساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين. وقد جرى إعلان الثوابت العشر هذه في إجتماع كبير بدار الفتوى حضرته الهيئات الدينية والسياسية والمدنية.

وقد رأى الشيخان أنّ تصرفات سلطة الرئيس الجميل سواء لجهة المائتي مرسوم، أو لجهة أعمال القبض والملاحقة ببيروت والقصف على الضاحية، لا تُبشّر بخيرٍ، ولا تُعين على إستعادة الثقة بين الدولة وجمهور المسلمين، فقرّر المفتي الشيخ حسن خالد إلقاء خطبة عيد الفطر عام ١٩٨٣ في الملعب البلدي حيث حضر حشدٌ هائلٌ. وقد طالب المفتي برفع الظلم عن بيروت والضاحية،

وعدم معاملتهما من جانب الجيش اللبناني كما عاملهما الإحتلال الصهيوني! وما لقيت جهود الشيخين تقديراً لا من جانب رئيس الجمهورية الذي كان منهمكاً بحرب الجبل، وبالمفاوضات، ولا من جانب السوريين الذين كانوا يريدون العودة لبيروت من جهة، ويريدون إرتهانها من جهة أخرى للمساومة على المفاوضات والإرغام على قطعها. وهو الأمر الذي فعلوه بإقدام أنصارهم من حركة «أمل» و«الحزب التقدمي الإشتراكي» على الدخول إلى بيروت بالسلاح يوم ٦ شباط عام ١٩٨٤ قادمين من الضاحية والجبل، ويعاونهم اللواء السادس الذي أسهم بمدفعيته في دفع لواءَي الجيش الآخرين إلى الإنسحاب من بيروت والضاحية. وما كان الشيخان يريدان أن يعود الأمر بالمدينة والضاحية إلى ما كان عليه قبل العام ١٩٨٢، فانصرفا للتفاوض مع المسلّحين لتسليم الأمور للواء السادس. وقد أظهر المسلحون قبولاً، لكنّ الفوضى إستمرت وكذلك الإغتيالات.

وتحت وطأة كل هذه الضغوط والمشكلات على العاصمة وعلى الناس، إنصرف المفتي خالد للقيام بثلاثة أمور: إنشاء صندوق الزكاة، وجمع «اللقاء الإسلامي» بدار الفتوى، وإجراء الإتصالات بالعرب لكي يتدخلوا من أجل إنهاء الحرب، بعد منع السوريين و«القوى الوطنية» والميليشيات التواصل بين المسلمين والمسيحيين لحلّ النزاع!

كانت الأوضاع الإجتماعية شديدة السوء. وكان فريقٌ من المسلمين يريد إنشاء «بيت مال المسلمين» من أجل رعاية الشأنين الصحي والإجتماعي. وكانت وجهة نظر المفتي خالد أنّ صيغة بيت مال المسلمين تفصلهم عن الدولة، وأنّ الأفضل إقامة بيت الزكاة أو صندوق الزكاة، وهو جهة إختيارية لأداء الزكاة والتبرّع برعاية دار الفتوى. وقد نجحت هذه الصيغة وامتدّت من بيروت إلى سائر المناطق الإسلامية في لبنان، حيث إنتشرت صناديق للزكاة، وهي تخضع جميعاً لإشراف دار الفتوى، وتساعد مئات الآلاف من الأفراد والأسر في الإغاثة والتعليم والصحة والدين والتنمية بدعم إنشاء المؤسسات الصغيرة.

أما «اللقاء الإسلامي»، فقد أشار به على المفتي الرئيس تقي الدين الصلح، لأنّ الدولة ومؤسساتها إنكمشت عن المناطق الإسلامية وفي طليعتها بيروت، ولأنّ المفتي لم يرد الخضوع لإرادة الميليشيات المسلحة التي دعمها السوريون في وجه الدولة بحجة الخلاف مع أمين الجميل. كان كبار المسلمين يجتمعون بدار الفتوى برئاسة المفتي كلّ أسبوع أو أسبوعين، ويجرون إتصالات، ويُصدرون بيانات، باعتبارهم ممثلي المدينة، والحافظين لمصالحها؛ يدعون فيها لإنهاء الحرب، وعودة سلطة الدولة، وتحرير الأرض، وسيادة لبنان ووحدة أراضيه، وقد أغاظ ذلك السوريين غيظاً شديداً. وكان عبد الحليم خدام يهدّد «العجائز» و«مرضى البروستات» ويتوعّدهم، ويتهمهم بمخامرة السلطة العميلة، وعدم الحماسة للتنظيمات الوطنية. ثم كان أن أقدم هؤلاء المتهمون في شرفهم العربي، وتحت وطأة الفوضى والمعارك والإغتيالات بين التنظيمات المسلحة، وترويع الناس، على دعوة الجيش السوري مراراً وتكراراً للعودة إلى بيروت، وهو الأمر الذي حصل أواخر العام ١٩٨٧، بعد إذلال شديدٍ من حافظ الأسد للوفود التي كانت تذهب وعلى رأسها المفتي إلى دمشق طلباً للغوث ! وبالطبع فقد كان من شروط العودة السورية إلى بيروت وقف

إجتماعات «اللقاء الإسلامي»!

لقد إستهشد صبحي الصالح، وإستشهد حسن خالد، وإستشهد رياض الصلح، وإستشهد رشيد كرامي وإستشهد رفيق الحريري، ومئات بل ألوف من الرجال الرجال من أجل الحياة والحرية. وقد قال خالد بن الوليد: «أطلبوا الموت توهب لكم الحياة!»

وكان الأمر الثالث الذي تابعه المفتي خالد بعد العام ١٩٨٤ وهو الأخطر، والذي ربما كان هو الذي أفضى به إلى الشهادة، إصراره على تواصل الحدّ الأدنى مع الرئاسة اللبنانية ومع البطريركية المارونية. وتطلع إلى المملكة العربية السعودية وإلى الكويت وإلى المملكة المغربية، حسب مواطن إجتماعات القمة العربية، من أجل إتخاذ قرارات تكون بعثاتٍ لحلّ النزاع في لبنان.

وقد جاء المبعوثون، ومنهم الأخضر الإبراهيمي إلى لبنان، ودعوا رجال الدين الكبار إلى الكويت، وطلب منهم السوريون ألاّ يذهبوا بعد فشل الميليشيات التي جمعوها بدمشق عام ١٩٨٥ في إنفاذ الإتفاق الذي وضعوه للحلّ في غياب رئاسة الجمهورية، وغياب دار الفتوى والبطريركية والمجلس النيابي. أما محمد مهدي شمس الدين فلم يذهب للقاء البعثة بالكويت، وحذّر زميليه من الذهاب (١٩٨٨). وأما البطريرك والمفتي فقد ذهبا وإجتمعا مع رئيس البعثة وأعضائها، وأجريا اتصالات. أمّا المفتي حسن خالد فقد أغتيل في ١٦ أيار عام ١٩٨٩.

وأما البطريرك صفير فقد قال لي في حزيران عام ٢٠٠٥: «لقد كبرت سنّي، وكنت أسأل الرب ألاّ أموت إلاّ بعد أن أرى خروج الجيش السوري من لبنان. لقد خرج السوريون وإن بتكلفة ثقيلة منها إستشهاد حسن خالد ورفيق الحريري.

لقد تعاهدتُ مع المفتي عام ١٩٨٨ قبل ذهابنا للكويت على أن نعمل على إنهاء الحرب الداخلية، وإخراج الجيش السوري، وإستعادة إستقلال لبنان ووحدة أراضيه. ها هو الخروج قد تحقّق، وأستطيع إبلاغ شهيدنا به عندما يأخذني الرب إلى رحمته».

عندما أنجز المفتي الشيخ حسن خالد إفتتاح صندوق الزكاة عام ١٩٨٥، ذكّرته بالنقاش بينه وبين الشيخ محمد فهيم أبو عبيه عام ١٩٦٤ بشأن المصطلح الأنسب: المعروف أم الخير العام؛ وقلت: «هذا عملٌ كبيرٌ من أعمال الخير العامّ!». وما بدت عليه الفرحة، بل أخذنا من كتفينا الشيخ صبحي الصالح وأنا إلى إحدى زوايا بهو دار الفتوى وقال: «هل بلغكم العمل العبثي الذي يجري بدمشق بين الميليشيات لحلّ الأزمة اللبنانية فيما زعموا؟ إنّ أكبر أعمال الخير العام إنهاء الحروب والنزاعات في البلاد التي تتابعها الميليشيات لصالح جهاتٍ لاتريد الخير بلبنان وباللبنانيين!».

و في ٢٥ نيسان عام ٢٠٢٠ بدار الفتوى وبرعاية المفتي الشيخ عبد اللطيف دريان، وهو مثلي من تلاميذ «المفدي» الشيخ حسن خالد، شهدنا إجتماعاً لائتلاف المؤسسات الخيرية إنعقد بالدار العامرة من أجل التضامن مع العائلات المحتاجة في شهر رمضان. وكان الناس كباراً وشبّانا، وفتياناً وفتياتٍ يتزاحمون على التبرّع للمهمة الجليلة التي فكّر فيها حسن خالد وغرس شجرتها، وتبعته على سقيها والعناية فيها أجيال الثقة والتضامن والرشد والشجاعة والوفاء:

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}.



المسلمون في إيطاليا: صقليّة.. عود على بدء

نصّ: ستيفانو أَلِيَافي
ترجمة: عزالدين عناية
أستاذ جامعي من تونس



تبدو الإنطلاقة من صقلية ضرورية للحديث عن الإسلام في إيطاليا، وبشكل ما «وُلِدت» صقلية مع الإسلام، أو بالأحرى مع العرب، الذين منحوا الجزيرة تاريخا وفخرا، وثراء ماديا وفنيّا خارقين، و هذا بالتأكيد ليس أقلّ قيمة مما خلّفه الإغريق من آثار. كما لاحظ الكاتب ليوناردو شاشا، «بدون شكّ بدأ سكان جزيرة صقلية يسلكون مسلك الصقليّين بعد الفتح العربيّ». أما قبل ذلك فقد كانت الأوضاع فاقعة، على الأقل كما يصفها المؤرخ ميكيله أماري: «صارت صقلية بيزنطية في الداخِل والخارج؛ و اختلّت جرّاء الداء الذي ألمّ بالإمبراطورية السائرة في طريق السقوط؛ منشغلة بأوضاعها البائسة، لا يروعها الفتح الإسلامي الذي هزّها وجدّدها». وبقيت آثار الفاتحين العرب المسلمين في العوائد، و في اللغة، و في أصول الكلمات، و في الحضارة المادية: إنهما قرنان من السيطرة، زيادة على التأثير الثقافي الواسع جرّاء إنفتاح بلاط النورمان على المساهمات العربية، التي لم تذهب سدى. فإيطاليا لا تماثلها منطقة أخرى من حيث تأثير الإسلام التاريخي، انطلاقا من منطقة مازارا دل فالّو، التي تحتضن اليوم إحدى أهمّ الجاليات الإسلامية المشهورة في إيطاليا، والموقع الصقلي المطلّ على تونس، إفريقية قديما (التي ينحدر منها اسم

القارة: إفريقيا؛ والتسمية مع عديد الجغرافيّين والمؤرّخين العرب، ضمّت صقلية أيضا).

و هناك الكثير من الآثار المتعلّقة بالماضي العربي الإسلامي، منغرسة في أسماء المواقع المحليّة، ومنتشرة في شتى الأمكنة: فمن «مرسى علي» أو «مرسى الله»، صارت اليوم مَرْسالا، الطرف الغربي من ترياناكريا، إلى «حلق القنطرة» التي تحوّلت في الحاضر إلى ألْكنترا، إلى مختلف الأماكن التي ضمت الجذر العربي لمفردة «قلعة»، والتي باتت كالْتانيسيتّا، كالْتابيلوتّا، كالْتاجيروني، كالْتافيمِي، كالْشيبيتّا، إلى كانيكاتّي «القطاع»، إلى فافارا المنحدرة من «فوّار، العين الجارية»، إلى ساكّا «السّاقية»، إلى ألْكامو، التي كانت تسميتها العربية «منزل القمح». و عن هذا المنزل تروى حكاية شفوية متوارثة، واردة من القرون الوسطى، تنسِبُ الإسم إلى القائد هالْكامو، الذي ما إن حلّ بمازارا حتى أحرق جميع سفنه ليصدَّ نفسه ومن تحدّثه نفسه ممن معه عن العودة إلى الخلف. فقد هاجم سِلِينونْتي وغَلّى بعض الأهالي أحياء في إناء من نحاس، حتى يبثّ في قلوبهم الرعب، ثم شيَّد قلعة حملت اسمه.

تُشير إضافات لغوية أحيانا إلى إسم مكان ما، كما تأتي في اللاتينية لفظة -mons- أو في العربية لفظة «جبل»، بالدلالة نفسها، والتي تشكّل أحيانا مفردة «مونْجَبَل»، التي باتت اليوم «مونْجِبيلّو»، والتي تشير إلى الإتنا، كما نجد الاشتقاقات نفسها في جِبيلّينا وجِبيلّمانّا. إلى حدّ باليرمو، التي يرد ذكرها لدى العرب «بالرم» وقد كانت سابقا في العصور الإغريقية بانُورْموس، فهي حاضرة البلاط و»مدينة الثلاثمائة مسجد»، كما نعتها الرحالة العربي إبن حوقل في الحقبة النورمانية، في إحدى آثاره التي تعود إلى سنة ٩٧٣م. فممّا ضمته تلك المنطقة في سابق عهدها لم يتبقّ سوى القليل، وليس في ما ترسّب من أسماء المواقع. فقد كانت الآبار والنواعير أساس نظام الريّ والأكثر تطوّرا حينها، وهو ما سمح في تطوير زراعة النخيل وجلب الفستق والموز والمرّ والزعفران والقطن وقصب السكر. وأما الفولكلور: فبين عديد الأمثلة، نجد نوادر جحا، التي تحاكي قصص جحا العربيّ، «كبير الحذاء بليد الذهن» في ما يشبه بيرتولدو وكنديدي لدينا، وهو ما يرد بإسهاب في الروايات الشعبية. و نستحضر أيضا الآثار الباقية من العمران (القصبة بمنطقة مازارا، التي باتت اليوم تحتضن الأحفاد الجدد لسكّانها القدامى)، من الأنشطة التجارية، إلى العوائد الشائعة، بل في اللغة أيضا وفي قواعد التحية، فليس عرضا أن نجدَ «سلامليكّي»، المحرّفة عن «السلام عليكم»، التحية العربية التقليدية. نستحضر كذلك تعابير تُعَدّ من ميزات لهجة صقلية، مثل «لنقبّل الأيدي»، أو «البركة في سيادتك». إلى حدّ الألقاب العائلية، التي يضيق المجال لعرضها، من بوشامي إلى كنْجامي، إلى مرابطو، إلى شُرطينو، إلى عِزّو إلى رسولّو، أو تلك الأسماء المركّبة بإضافة إسم الله، مثل فراجالا، وزابالا، وفادالا وغيرها كثير، حيث كلمة الله جلية في آخرها. يبدو جديرا تتبّع هذا التاريخ من أصوله.

كانت صقلية الفتحَ الأخيرَ للإسلام العربي في أوروبا، تلت توطّن الإسلام بالأندلس بُعيْد قرن من الفتح. مكثت فيه إسبانيا ترزح تحت السيطرة الإسلامية ما يناهز ثمانية قرون (بالضبط من العام ٧١١م إلى ١٤٩٢م، وإن كان بأزمنة وأشكال مختلفة من منطقة لأخرى)، وهو ما خلّف حضارة شامخة، ما زالت آثارها زاهية إلى اليوم. حيث لا تضاهى صقلية بذلك الفضاء، مما تبقى من آثار بادية



للعيان في فنّ المعمار، ففي صقلية أقلّ بكثير مما نجده بالأندلس: ولكن في العموم يتعلّق الأمر بذاكرة تحتاج إلى الإكتشاف على غرار ما نجده بالأندلس. كما نجد النظر إلى الفتْحيْن في العالم الإسلامي نفسه مختلفا. كتب ريزّيتانو: «إن كانت الأندلس في التاريخ العربي اِحتلّت ما نسمّيه باللّغة الصحفية المقال المعمّق ضمن تاريخ المغرب، فقد خصَّص المؤرّخون المسلمون لأحداث صقلية، روايات متواضعة، ما يشبه روايات الهامش». كلتاهما، صقلية والأندلس، شملهما فتحٌ يعود إلى عائلات محدّدة ومستقلّة بشكل ما، وأحيانا عُدّت مبتدعة من قِبل الإسلام السنّي، الخاضع في تلك الحقبة إلى الخليفة العباسيّ في بغداد. نجد في صقلية أساسا الأغالبةَ العربَ، والفرسَ، والأمازيغَ، ممّن شكّلوا الموجة الأولى من البعثة الإسلامية، فقد كان الحاكم مستقلاّ، حتى وإن والى ظاهرا الخلافة في بغداد. ترافق ظهور الأغالبة في القرن التاسع الميلادي، مع إعتلاء كارلو مانيو العرش،كان ذلك بموافقة الخليفة هارون الرشيد على الحاكم إبراهيم بن الأغلب من إفريقية، بالسماح له في توارث الملك؛ ثم خَلَفهم الفاطميون وقد شكّل عهدهم بحسب المؤرّخ الإيطالي فرانشيسكو غابريالي «العصر الذهبي للإسلام في صقلية»، إلى الكلبيّين المرتبطين بالفاطميّين، ممن إنتسبوا حقّا أو زورا إلى فاطمة الزهراء، إبنة النبي محمّد (صلى الله عليه و سلم) وزوج الخليفة الرابع علي، وممن ينتمون عموما إلى الشيعة. في حين حكم في إسبانيا خصومهم الأمويون، الذين سرعان ما أقاموا إمارة مستقلة، ثم تلاهم المرابطون، وأخيرا أتى الموحّدون، الذين رافقهم تصاعد نفوذ الأمازيغ، وقد شهد عصرهم إزدهارا ثقافيا ملحوظا، بلغ أوجه، وكما يحدث عادة، أثناء المدة التي سبقت التراجع وإندلاع حروب الإستعادة التي إنتهت بطرد الموريسكيّين. فلم يبق سوى التباكي على الأطلال عن حضارة عربية – إسلامية فريدة من نوعها فعلا، سواء في تسامحها أو في إنفتاحها الفكريّ، على الأقلّ بحسب ما كان معهودا في تلك الحقبة؛ و الآثار الباقية لمسجد قرطبة، وقصر الحمراء، وغرناطة، وطليطلة، وإشبيلية، شاهدة على ذلك الإرث العربي الإسلامي، الذي لم يبق ما يضاهيه من آثار شامخة في صقلية.

و يعود تاريخ الحقبة العربية الأولى لدخول صقلية إلى الحقبة المبكّرة من تاريخ الإسلام، و بالتحديد إلى العام ٦٥٢م، أي إلى العام الثلاثين من التقويم الهجريّ، نسبة لهجرة النبي محمّد (صلى الله عليه و سلم) وأصحابه من مكة إلى المدينة منطلق التقويم الإسلامي، وبعد عشرين سنة من وفاة نبيّ الإسلام. ثم تتابعت المغازي، ففي العام ٧٠٠م

مثلا، تمّت مهاجمة جزيرة بنْتَلاّريا، ولغرابة الأقدار فإنّ أصول هؤلاء تعود إلى قرطاج وأوتيك في شمال تونس، من المسيحيّين الذين فرّوا من الفتوحات الإسلامية الأولى لإفريقية. وفي سنة ٧٠٥م تعرّضت سيراكوزا للنّهب. لكن لم يتسنَّ فتح المدينة سوى بعد قرنين، وبعد ثمانين سنة من النزول بمازارا، الذي حصل سنة ٨٢٧م، و بعد مقاومة عنيفة تَمّ فتح باليرمو سنة ٨٣١م، ثم مِسّينا سنة ٨٤٢م، وراغوزا سنة ٨٤٩م، وإينّا سنة ٨٥٩م (من باب التذكير أثناء الحصار الأوّل للمدينة، سنة ٨٢٩م، ضُرِبت العُمِلةُ الأولى التي تحمل اسم «صقلية» مع ذكر العام الهجري) وسيراكوزا سنة ٨٧٨م، وأخيرا تاورْمينا، آخر قلاع المقاومة المسيحية، التي إنتزعت بعد معارك دامية سنة ٩٠٢م، أي العام ٢٨٠ من التقويم الهجري.

هذا و قد كَتَب إركيمبيرتو، أحد رهبان مونتيكاسينو في القرن الحادي عشر، عبارات بليغة واصفا بها الفتح العربي: «في ذلك الزمن، كان العرب يُشبِهون خليّة النّحل، بأيادٍ ذات بأس شديد، وفدوا إلى صقلية من بابل وإفريقية. إجتاحوا كلّ شيء في البلاد المجاورة، وأخيرا إنتزعوا مدينة باليرمو الشهيرة، التي باتت محلّ سكناهم في الوقت الحالي، وفي تلك الجزيرة سقطت عديد المدن والقرى، وفي وقت قليل أذعن الجميع لسلطانهم».

باتت صقلية تابعة للمجال الحيويّ السياسيّ والثقافي العربي - الإسلامي في ذلك العهد. فقد كان جوهر الصقليّ، مثلا، قائد جحافل قوات الخليفة الفاطمي المُعِزّ لإخضاع مصر، التي شهدت بناء الحاضرة الجديدة للقاهرة سنة ٩٦٩م. وكان الإمام المازري، المولود بمازينا، من أسس بيت الدراسات الفقهية الشهير بمدينة المهدية.

لعبت السياسة دورا حاسما في توحيد الجزيرة وضمّها تحت الحكم الإسلامي، كان ذلك تحت رغبة الخليفة التي نفّذها الأمير أحمد، فقد أسّس في كل مقاطعة مدينة حصينة أقام فيها مسجدا، ودعا الناس إلى العيش بداخلها وليس في قرى متناثرة: وهو ما ساعد على المراقبة والدفاع، فكان بذلك الشكل أن طوَّر إيرادات الدولة المالية، وخلطَ كذلك السكان المسيحيّين بالمسلمين، كما شجّع التعليم الديني وبالتالي إعتناق الإسلام.

انتهى الفتح العربي مبكّرا. ففي القرن الأول من الألفية، أثناء صراع بين السادة الأعداء، حين يبحث أحدهم، لحلّ الخلافات الداخلية التي قد لا تنتهي إلّا بإستخدام القوة العسكرية. كما يجري عادة الإعتماد على قريب قويّ، و ربما عدو الأمس، فالقريب الذي يشكل مشكلة، فضلا عن أنه قوي، هو مربك وله أهداف جدّ محدّدة: هكذا بدا روجيرو النورماني حينها رفقة الأخ روبارتو غويسكاردو، حيث نزلا بجنوب مسّينا سنة ١٠٦١م، واستعادَا باليرمو سنة ١٠٧٢م وستنتهي بعد ثلاثين سنة من مقدمهما، بالسقوط المشهور سنة ١٠٩١م، حقبة الوجود الإسلامي وإسترجاع الجزيرة. وحتى وإن مرّت عسكريا إلى أيدي النورمان، فقد بقيت الجزيرة تحت التأثير الواسع الثقافي والإداري للإرث العربي الإسلامي، سواء أثناء حكم النورمان أو تحت الحكم السفيفي.

و قد حازت الصورة اللامعة والمنفتحة للإمبراطور فيدريكو الثاني، أهميةً جليَّة لدى المؤرّخين. فقد إحتفظ بين عناصر جيشه، كسابقيه، بحرّاس ثقاة من السراسنة، من المحاربين الأوفياء، وعارض أيّ مسعى لتحويلهم عن دينهم. لكن بخصوص مستشاريه من العرب هو دلالة على بُعْد نظره السياسي،

فضلاً عما ولاّهم من دور تنظيميّ وتثقيفيّ، كما كان بلاطه محل إستقطاب للعلماء، ومنتدى للحكماء، المسيحيين واليهود والمسلمين. لقد كان الإمبراطور شغوفا بالثقافة ومتّقد الذكاء، كما تكشف عن ذلك «أسئلته الفلسفية» التي كان يدلي بها للعلماء من كل المشارب، مع تفضيل للعرب من بينهم. يشهد على ذلك «كتاب المسائل الصقليّة»، المتواجد اليوم بمكتبة بودليانا بأوكسفورد. فللإجابة مثلا عن بعض تساؤلاته كتب الفيلسوف إبن سبعين رسالة في الذات البشرية وأخرى عن خلود الروح. كما يرجح أيضا تلقّيه العلم هو أيضا على يدي قاضٍ مسلم. كان يتحدث «اللاتينية والإغريقية والسّراسينيّة، أي العربية...». لقد كان الزيّ الإمبراطوري الذي إرتداه يوم مجيئه إلى روما لتسلّم التاج من إمبراطورية الكرسيّ الرسوليّ، هو بشكل ما علامة على ذلك الإنفتاح الثقافي؛ فقد كان موشّى بالأحرف العربية على أطرافه، وحوى كتابة تشير إلى مأتاه، المصْنَع الملكي ببالرمو، وتاريخ العام ٥١١، بالتأكيد العائد للتقويم الذي يرتبط بهجرة النبي محمّد (صلى الله عليه و سلم) من مكة إلى المدينة. بالتقويم نفسه، وفي بعض الحقب من الحكم النورماني، ضربت النقود الإمبراطورية: مباشرة بعد إستعادة بالرمو، عندما ضرب روبارتو غويسكاردو قطعا ذهبية بالخط الكوفي تضمّنت التاريخ الهجري؛ و لكن مع روجيرو الثاني أدخلت الرموز المسيحية، مع الإحتفاظ بالكتابة العربية وبالتاريخ الهجري، وكأنّ التفكير في إنطلاق التاريخ الحقيقي لصقلية منذ ذلك العهد...

ويوافق العام ٥١١ هجري ١١٣٣ من التقويم الميلادي، وهو العام الذي تُوِّج فيه



روجيرو الثاني في باليرمو، أصغر الملوك سنّا في ذلك العهد، وابن الكونت النورماني روجيرو الأول، غازي الجزيرة، والذي كان يستحسِن مناداته باللقب العربي المعتز بالله. بشكل عامّ يمكن قول، في سياق ما قاله المؤرخ الكبير نورمان دانيال، كانت صقلية النورمانية الدولة الوحيدة التي تميزت من التعددية الثقافية والتسامح في القرون الوسطى. فضلا عن ذلك نجد مصدرا آخر موثوقا، و هوالعائد للمسلم إبن جبير، أصيل غرناطة. فقد روى عن غوليالمو الثاني (المنعوت بالطيب) الذي كان يعجّ قصره بالغلمان والخصيان المسلمين. وحتى وإن أعلنوا شكليا تنصّرهم، فقد كان بوسعهم ممارسة شعائر دينهم الإسلامي في حضور الملك نفسه، سواء أكان صوما لشهر رمضان أم أداءً للصلوات الخمس. في حين كانت جواري القصر، كلهنّ من المسلمات، وقد هَدَيْن نساء أخريات من الفرنجيات إلى الإسلام (العبيد يبدّلون دين السادة...). كما كان لغوليالمو الثاني حرسه الخاص من المسلمين، وكانت قيادتهم تحت إمرة مسلم. و كان غوليالمو الثاني مثل فيدريكو الثاني يعرف العربية، كما كان مستشاروه من الحكماء والمنجِّمين المسلمين. وكان لقبه المعتزّ بالله.

ولم يمنع ذلك التسامح البعيد النظر فيدريكو الثاني من إخماد الانتفاضات الإسلامية الأخيرة

بيَدٍ صارمة، بدءا من تلك الانتفاضة العارمة، التي قادها محمّد بن عبّاد («المرابطوس» كما يرد ذكره في النصوص التاريخية اللاتينية). حيث تمّ إخماد تلك الفتن، ورُحِّل جزء ممن بقوا على قيد الحياة إلى منطقة أخرى على شبه الجزيرة، وهي ما صارت تُعرف بطائفة لوشيرا المسلمة، وجزء آخر منهم تمّ دمجهم عنوة. يعود الفضل في ذلك إلى الإمبراطور الذي أبدى تعاطفا مع العرب والإسلام، في توحيد صقلية على المستوى السياسي، والديني المسيحي، واللغوي أيضا. فمنذ ذلك التاريخ عادت الجزيرة مسيحية. و إنتهى مصير السراسنة ليمثّلوا المغايرة بامتياز، وليتقمّصوا صورة العدو، فصيغت عنهم عديد الحكايات الفولكلورية، وتطوّرت ثقافة شعبية ما زالت تروى ومتوارَثة إلى اليوم.

هذا و كان الحضور العدديّ الإسلامي غفيرا. حيث يُرجَّح تواجد نصف مليون من العرب والأمازيغ في الجزيرة، و هذه جالية كبيرة في مقابل مليون أو مليونيْن من «السكان» المسيحيّين. أمّا اليوم فلا يمكن لعشرات الآلاف من العرب الموجودين بصقلية، أن يضاهوا أسلافهم، لا في العدد ولا في العدّة، و لا من حيث الثراء والقوة. حتى وإن توافدوا من الربوع نفسها تقريبا. علما أنّ صقلية هي المنطقة الوحيدة في إيطاليا التي تفوق فيها الجالية التونسية نظيرتها المغربية عددا، وكما شاهدنا، فعلا من تونس، المسماة إفريقية سابقا جاء الفاتحون في الزمن الماضي.

ربما كان مكان الإتصال الوحيد الذي تبقّى، ولو على مدد زمنية متقطعة، وفي الوقت نفسه مثقلا بالرمزية والمعاني، في جزيرة لمبيدوزا. فقد بقيت الجزيرة محلّ خلاف وتعرّضت للنهب المتكرّر عدة المرات من قبل السراسنة (سنة ٨١٢م أبادوا الكثير من الأهالي، لكن بالمقابل، وفي وقت قريب، جرت إبادتهم من قِبل القوات البيزنطية). هنا على الأقلّ، تقريبا حتى حدود منتصف القرن السادس عشر، كان معتادا مشاهدة بحارة مسيحيين ومسلمين (يمكن أن تعني الكلمة قراصنة أيضا، الملاعين السراسِنة) يتبرّكون ويقدمون الصدقات في المغارة المقدّسة للعذراء مريم، كما تروي إحدى الكتابات المسيحية عن تلك الحقبة، «ذلك الذي يبقى محلّ إعجاب أنّ القراصنة الأتراك، أعداء ديننا وأعداء البشرية قاطبة، لا يجلون ويحترمون ذلك المكان فقط، بل يتبرّكون به ويقدّمون الصدقات بورع وإجلال يفوقون فيه المسيحيّين». ثم حلّت حقبة الصدامات الكبرى بين العالميْن الإسلامي والمسيحي -ليبانتو ١٥٧١م-، فكفّت تلك الزيارات الدينية نهائيا. لكن اليوم مع مسلمين آخرين من جديد، في تلك الربوع من المتوسط، يبدو رمزا صعبَ التناسي.

و ليس أملا وليس منْيَة: لا شيء من ذلك ولا شيء أقلّ مما جرى، إنه رمز يستحقّ التأمّل. ربما، ونحن نشاهد المهاجرين غير الشرعيّين ينزلون في جزيرة لمبيدوزا، تتقاذفهم الأقدار ويجذبهم سراب الغرب، بعد أن ألقى بهم السماسرة بلا مبالاة على سواحل الجزيرة، وبعد أن وعدوهم أنهم سيرسون بهم على السواحل الإيطالية، على حدود أوروبا الهشة التي يمنّون أن تكون مرساهم. و هكذا ينزل عشرات الوافدين شهريّا. إنها تجليات تراجيدية للعيش البائس هناك: في ما يشبه رواية الملهاة لمشهد ربما يليق بالروائي بيراندللو. من ذلك أن أحد القادمين الجدد إلى الجزيرة ظن أنّه حطّ الرحال أخيرا بجنوب إيطاليا، فسرق سيارة ممنّيا النفس ببلوغ الشمال الموسر، وقام بدورة داخل الجزيرة، وقبل أن ينتبه وجد نفسه قد عاد من حيث إنطلق فوجد الشرطة بانتظاره...



فكر النهضة الإسلامي و الإعلام

كتابة : د.نادر جمعة
أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية

الإعلام لغة:

مصدر لفعل أعلَمَ الرباعي، وهو من العلم يعني إدراك الشيء على حقيقته، وذلك يعني قوة الصلة بين العلم والدِلالة على إرادة البلاغ[١].

واصطلاحاً: يعتبر الإعلام إحدى الوسائل أو المنظمات التجارية التي تتولى مسؤولية نشر الأخبار وإيصال المعلومات للأفراد، وتكون عادة غير ربحية، وتختلف في ملكيتها فقد تكون عامةً أو خاصةً، ورسميةً أو غير رسميةٍ[٢].

و يذهب بعض الباحثين إلى أن الإعلام ظاهرةٌ إنسانيةٌ غير مرتبطةٍ بزمانٍ أو بمكانٍ، فقد ترافق العمل الإعلامي مع وجود الإنسان على هذه الأرض. ومن المفيد الإشارة في هذا السياق إلى ما تم اكتشافه في مصر من حجر رشيد، والذي يعود إلى القرن الخامس قبل ميلاد السيد المسيح، إذ وجدت فيه كتابات بلغاتٍ ثلاث: « ليونانية والديموطيقية والهيروغليفية»، كما اكتشفت بعض الكتابات التي تعود إلى١٩٦ قبل الميلاد في الحقبة ة التي عاش فيها بطليموس، ويمكن إدراج معلقات الشعر العربي ضمن هذا الإطار العام لمفهوم الإعلام قديماً وحديثاً[٣].

أما بداية التأريخ لمهنة الصحافة journalism فإن ذلك يعود للعصور الوسطى، فقد كان البابا يسجل أحداث العام على سبورةٍ بيضاء؛ ثم صدرت أول صحيفة في أمريكا سنة ١٦٩٠م في بوسطن؛ وفي بريطانيا صدرت صحيفة دايلي كورنت سنة ١٧٠٢م؛ وصحيفة التايمز التي أسسها الأخوان جون والتر الثاني صدرت سنة ١٧٨٥م.

والسؤال الذي يطرح نفسه، ما هو الإعلام الإسلامي؟ ومتى بدأت الصحف ذات المضمون الإسلامي بالصدور؟

إن الإعلام الإسلامي هو جزءٌ من الإعلام المعاصر الموجه للمجتمعات العربيةَ والإسلامية، ويقع على عاتقه مهمة استثمار منظومة القيم الكامنة في مصادر الإسلام الحنيف، وتعزيز مركزية موقع الأمة الإسلامية الحضاري والاستراتيجي من أجل القيام بأدواره الإعلامية المنشودة، خاصة في ظل ما يعرض للفرد المسلم اليوم من رسائل ومضامين إعلامية متعددة الفلسفات ومتناقضة القيم والمبادىء، تؤثر في تكوين الفرد الفكري والاجتماعي، وتؤثر بزعزعة هوية المجتمعات المسلمة في التحديات الإعلامية في الواقع المعاصر[٤].

إن القرآن الكريم نفسَه يمثل ظاهرةً إعلاميةً؛ إذ يقول الله تعالى: (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) النبأ/١، من هنا فإن الوحي الإلهي شكلٍ ولا يزال وسيلةً إعلاميةً بوصفه أداةً لسانيةً تستبطن الكثير من المعاني والدلالات، وتدعو إلى إعادة رسم المجتمع وبنائِه فكرياً وسياسياً واقتصادياً ومعرفياً؛ إذ استطاع القرآن الكريم أن يحدث صدمةً ثقافيةً وإيمانيةً في الجزيرة العربية بوجهِ بقية الأديان والأيديولوجيات التي كانت سائدةً وقتذاك في شبه الجزيرة العربية وما جاورها.

ولم يقتصر الإعلام الإسلامي في بداية الدعوة الإسلامية على النصين القرآني والنبوي؛ وإنما مَثلت أركان الإسلام الخمسة ببعديها الإيماني

العقيدي والسلوكي الحركي ظاهرةً إعلاميةً. فإذا أردنا أن نقرأ هذه الأركان «الصلاة والصوم والزكاة والحج» قراءةً سيميائيةً (وهي إحدى نظريات النقد الأدبي الحديث وقد ارتبطت بعلم الدلالة)، فإنها تكشف لنا عن هذين البعدين الإعلامي والإعلاني في الوقت نفسه. كما أن الأذان وهو وسيلة إعلامية وإعلانية أيضاً تستهدف نقل السامع أو المتلقي من حدودِ الزمانِ والمكانِ، وتجاوز الإطار اللفظي السمعي بوساطة الربط بين اللفظ المحدود والأثير اللامحدود أي إرتباط الأرض بالسماء، المحسوس باللامحسوس والحاضر بالغائب.... إلخ.

والحقُ أن الإعلام الإسلامي ليس مرتبطاً بحقبة زمنيةٍ معنيةٍ، وليس محدوداً ببقعةٍ جغرافيةٍ محدودة؛ بل هو منهجٌ يتجاوز حدودَ الزمان والمكان، ويحمل في طياته بذور الملاءمة لكل زمان ومكان. وإذا كان الإعلام هو صناعة الرأي العام، وهو إلى جانب ذلك يحمل رسالة، وهو أداة اتصال بين طرفين المخبِر والمخبَر، فإن القرآن الكريم بهذا المعنى هو أهم وسيلة إعلامية قديماً وحديثاً.

في فكر النهضة وعلاقته بالإعلام الإسلامي

يقول المفكر فهمي جدعان في كتابه «أسس التقدم عند مفكري الإسلام» إذا كانت دولة العرب وأيامهم قد درست، كما لاحظ ابن خلدون، وصار الأمر من بعدهم في أيدي سواهم من العجم مثل: الترك بالمشرق، والبربر بالمغرب، والفرنجة بالشمال، فإن الإسلام نفسَه لم يدركه تماماً ما أدرك هذه الدولة وتلك الأيام، والفضل في ذلك يعود إلى حد ما إلى الأتراك[٥]؛ وفي ذلك يقول ابن خلدون:»إذ بينما كانت الخلافة الإسلامية قد ضعفت وفسد أمرها، ولم تعد قادرة على صد أعدائها، جلبَ الله لها بحكمتهِ وحسنِ تدبيره وإحسانه حكاماً وحماة، جدداً، من بين قبائل الترك العديدة العظيمة، حتى ينفثَ من جديد الروحَ في جسم الإسلام ويعيد إلى المسلمين وحدتهم»[٦].

وإذا كان الأستاذ ألبرت حوراني قد أرخ لنهضة الفكر العربي من العام ١٧٩٨ وحتى العام ١٩٣٩[٧]؛ فإنني أعتبر أن مجموعة كبيرة من الصحف والمجلات الإسلامية شكلت الأسس النظرية والفكرية لنهضة الفكرين العربي والإسلامي في الحقبة الممتدة من العام ١٨٥٠ وحتى العام ١٩٥٠، ومن هذه الصحف والمجلات: مجلة «العروة الوثقى» التي أصدرها السيد جمال الدين الأفغاني والإمام الشيخ محمد عبده في باريس عام ١٨٨٤، ومجلة «المنار» التي أصدرها الشيخ محمد رشيد رضا بالتعاون مع أستاذه الشيخ محمد عبده عام ١٨٩٨، ومجلة «جريدة الإخوان المسلمين» التي أصدرها الإمام حسن البنا عام ١٩٣٣؛ ومنها أيضاً مجلة «النذير»، ومجلة «الشهاب»، ومجلة «الدعوة»، ومجلة «الكشكول»، ومجلة «لواء الإسلام»، ومجلة «منار الإسلام» وجميعها تصدرها جماعة «الإخوان المسلمون»[٨].

وبما أن الهدفَ من هذه الدراسةِ هو الإضاءةُ على الجوانب الثقافيةِ والاجتماعيةِ والسياسيةِ التي كان لها أثر فعال بالتأسيس لمنظومة فكرية نهضوية جمعت بين أصالة النصوص الدينية واحتواء الفلسفات الغربيةِ على قاعدة التثاقف وصلاحية الإسلام (كتاباً وسُنة) لكل زمان ومكان؛ لذلك سأعرض في هذه الورقة الموجزة لأبرز المبادىء والأفكار التي تبنتها ودعت إليها مجلتا (العروة الوثقى والمنار)، واللتان كانتا تعبران عن فكر المدرسة الإصلاحية برموزها الثلاثة:»السيد جمال الدين الأفغاني والإمام الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا»

في سجالاتهم مع أرنست رينان وهانوتو[٩] وفرح أنطون[١٠] وغيرهم من أعلام الفكر الغربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

أ-مجلة العروة الوثقى: أصدرها في باريس قطبا الثورة على الاستبداد السيد جمال الدين الأفغاني والإمام الشيخ محمد عبده؛ وقد صدر العدد الأول منها في ١٣/آذار/١٨٨٤م. ولخص الإمام محمد عبده أهداف المجلة في رسالة بعث بها إلى صديقه الشاعر ويلفرد بلنت إذ يقول:»وإننا نسعى جاهدين من أجل صون استقلال الشعوب الشرقية من عدوان الدول الغربية، وإقلاق بال الحكومة الإنجليزية، حتى ترجع عن أعمالها المثيرة لخواطر المسلمين». ويقول الأمير شكيب أرسلان عن العروة الوثقى: إنه سمع الشيخ محمد عبده يقول:

إن الأفكار في العروة الوثقى كلها للسيد، ليس لي فيها فكرة واحدة، والعبارة كلها لي، ليس للسيد فيها كلمة واحدة.

ومن الأهداف التي عبرت عنها المجلة: الدعوة لإحياء الخلافة العربية، وإنشاء الجامعة الإسلامية، والرد على الدهريين وعلى أرنست رينان وهانوتو وفرح أنطون، والدعوة لصياغة الدستور، وإنشاء المجالس التأسيسية، وإجراء الانتخابات، وإطلاق الحريات، والدعوة إلى الاتحاد والتضامن، والأخذ بأسباب النهضة، وتحرير مصر والسودان من الاستعمار البريطاني، والتنديد بمن يوالون الاستعمار والأجنبي، والدفاع عن الأوطان، ومحاربة التواكل لدى الشرقيين، والتأكيد على قيم الأمانة والشرف والواجب، وأهمية مواجهة استبداد الحاكم، والدعوة إلى الإصلاح بالرجوع إلى حقيقة الدين، والدعوة إلى وحدة الأمم الشرقية[١١].

ب-مجلة المنار: إستطاع الشيخ محمد رشيد رضا أن يقنع أستاذه الشيخ محمد عبده بضرورة إنشاء مجلة للتصدي لمهمة الإصلاح قائلاً له:»إن معالجة قضايا التربية والتعليم ونشر الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والأفكار الفاسدة التي فشت في الأمة كالجبر والخرافات، هي الباعث على إنشاء هذه الجريدة».

صدر العدد الأول من «المنار» في ١٥/ آذار/١٨٩٨، وكان من أهدافها:

شن حرب شعواء على الشركيات والبدع المنتشرة بين المسلمين في مصر وغيرها من دول العالم الإسلامي، كالبناء على القبور وتعظيم الأضرحة، والاستغاثة بالمخلوقين فيما لا يقدر عليه أحد إلا الله سبحانه وتعالى، وحثت المجلة المسلمين على وجوب العودة إلى الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح في فهم قضايا التوحيد والشريعة.

٢-إعلان الحرب على الاستعمار وأدواته وعملائه؛ وفي هذا السياق يقول الدكتور سامي الكومي:»لقد شن الشيخ محمد رشيد رضا حرباً لا هوادة فيها على ما اقترن بدخول الأوروبيين إلى مصر وغيرها من البلاد الإسلامية من الانحلال الخلقي والعادات الضارة، ففي مقال له بعنوان «الجيوش الغربية المعنوية في الفتوحات الشرقية»، يقول الشيخ محمد رشيد رضا:»إن الغرض من الفتوح والاستعمار تكثير المال وتنمية الثروة، وإن الدول الأوروبية توفر على نفسها القتال حتى لا ترِاق دماء أبنائها وتسلط الأمم الشرقية جيوشاً معنوية أقوى من الجيوش المادية، فإن الأوروبيين ساقوا عليه – الشرق- خمسة فيالق هي الخمر والميسر والربا والبغاء والتجارة فنسفوا بذلك ثروته، وقتلوا وأضعفوا همته وأفسدوا ما كان له من بقايا أدب ودين»[١٢].

٣-الدعوة إلى الإصلاح السياسي والدستوري[١٣]؛ والعمل من أجل إحياء

الخلافة الإسلامية، يظهر ذلك في كتابه «الخلافة» والذي رد فيه على كتاب علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم»، معتبراً أن نموذج الدولة السعودية هو الأقرب من فكرة الخلافة العربية[١٤].

٤-الدفاع عن الفكر السلفي برموزه الثلاثة: شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن قيم الجوزية والشيخ محمد عبد الوهاب؛ والإيمان بأن إصلاح الإسلام هو المقدمة لإصلاح الدولة، وأن أعمال واجتهادات هؤلاء الفقهاء تشكل المنطلقات الفكرية والعقيدية للإصلاح الحقيقي[١٥].

٥-الدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد والحرب على التعصب المذهبي والدعوة إلى التمسك بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة بدلاً من التعصب لمقالات الشيوخ والأئمة[١٦].

ونخلص من هذا العرض الموجز إلى أن مجلتي «العروة الوثقى والمنار»؛ شكلتا ولا تزالان المرجع النظري والفكري والفلسفي لرجالات الإصلاح في القرنين التاسع عشر والعشرين. وأن أهمية ما دعتا إليه تتمثل بتبني الحركات والجمعيات النهضوية والتجديدية، التي دعت إلى الخروج على التقليد، وفتح باب الاجتهاد؛ من أجل التقريب بين الإسلام والحداثة الغربية، على قاعدة استيعاب الجديد وعدم استلاب القديم، والتأكيد على أن الإسلام لا يناقض العلم والمدنية، وأن التثاقف هو الحل الوحيد الذي يساعد على الحفاظ على الهوية والتواصل مع العالم والآخر على قاعدة (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)،الحجرات/١٣.[١]

الأستاذ محمود عبد السلام،»الإعلام الإسلامي بين الواقع والطموح»،موقع إسلام ويب.[٢]

إيمان الحيارى،»تعريف الإعلام لغة واصطلاحاً»،موقع موضوع.[٤]

هيفاء فوارس،»الوظيفة التربوية للإعلام الإسلامي»،ص ٧٦.[٥]

الدكتور فهمي جدعان،»أسس التقدم عند م[٦]ص٥٠ وما بعدها الدكتور ألبرت حوراني،»الأسس العثمانية للشرق الأوسط،[٧]

الدكتور ألبرت حوراني،»الفكر العربي في عصر النهضة»،ص٥-٦ وما بعدهما.

[٨] الأستاذ خالد بشير،»مجلات الجماعات الإسلامية عبر تسعة عقود»،

[٩] الدكتور محمد كامل ضاهر،»الصراع بين التيارين الديني والعلماني»،ص١٦٥.[١٠]

ضاهر،م.س.،ص٢١٤.[١١]

الأستاذ منير عتيبة،»العروة الوثقى مجلة أقوى من السلاح».

وراجع أيضاً: الدكتور عثمان أمين،»العروة الوثقى للأفغاني ومحمد عبده،الهيئة العامة المصرية للكتاب،ط١،١٩٩٤.

الأستاذ عبد الرحمن الرافعي،»جمال الدين الأفغاني باعث نهضة الشرق»،القاهرة،دار المعارف،ط٢،١٩٩١

راجع: حوراني،»الفكر العربي»، ص١٣٩ وما بعدها.

[١٢] المجلة العربية للبحث العلمي،العدد الأول، نسخة إلكترونية.

[١٣] وراجع أيضاً:فهمي جدعان،»أسس التقدم»،ص٢٧٠ وما بعدها. وجيه كوثراني،»مختارات سياسية من مجلة المنار»،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،

[١٤]ألبرت حوراني،»الفكر العربي في عصر النهضة»،ص٢٢٩ وما بعدها،[١٥] فهمي جدعان،»أسس التقدم»،ص٢٧٠ وما بعدها،[١٦] م. س. ن



السنة النبوية في الخوف والأمن

كتابة : د.سعاد الحكيم
أستاذة كلية الآداب بالجامعة اللبنانية



منذ حوالي قرن من الزمان بدأت المجتمعات العربية والإسلامية تشهد حراكاً إنسانياً : أحزاباً وجمعيات ومجتمعاً أهلياً ، وحراكاً محصوراً محدوداً، وأحياناً واسعاً ممتداً ، أو عنيفاً متقداً، أو ظاهراً ومسلحاً، وأحياناً خافتاً دعوياً فكرياً، وتكاد تتفق كل الأطراف الفاعلة في الحراك – على الرغم من تناقض أهدافها وأفكارها – على ضرورة تغيير الواقع الإنساني نحو مستقبل أفضل، ولكنها تفترق في تحديد العنصر الجوهري المعول في عملية التغيير ، هذا العنصر الذي إن بدأت به وغيرته ، لسوف يتغير كل شيء بالتبعية نحو ما تراه أنه الافضل .

وفي هذا السياق ظهرت مجموعات صغيرة أو كبيرة تصر على إستخدام القوة المرهبة والعنف المسلح والإسلوب القهري الغادر لإحداث التغيير فتبيح لنفسها – بإسم الإسلام – تخريب الممتلكات ووضع المتفجرات والمس بقدسية الحياة والإقتتال داخل القرى والمدن ، وفيما بين بيوت العائلات وداخل المجمعات التجارية فتزرع الخوف والرعب وتسرق من المواطن إحساسه بالأمن والأمان كما تعرض المنضمين إلى مجموعاتها للهلاك المبين واعدة إياهم بوعود ليس لها ضامن لا من شرع ولا من عقل . وكثيراً ما يقع في أسماعنا آية قرآنية ، ترددها هذه المجموعات – الفاسدة والمفسدة - للتغرير بناسها وهي قوله تعالى الحاكي عن عبارة قالها أصحاب طالوت المقربين ، يحثون بها باقي جنوده» كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» البقرة ٢٤٩ كما أن هذه المجموعات توحي لناسها بأنها تشبه في التمثيل « أهل بدر» الذين كانوا فئة قليلة في حدود الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً رضوان الله عليهم أجمعين ، ورغم ذلك إنتصروا على فئة كثيرة (حوالي الألف مقاتل ، أي كانوا ثلاثة أضعافهم)

ونقول للمغرر بهم أو لمن أشعرهم بالحيرة والضياع كلام هذه المجموعات وشعارتها الدينية وأعمالها التخريبية، وأهمه أن يعرف حقيقة الأمر: إن هذه المجموعات شردت عن شريعة الإسلام القويم الضابطة للحراك الإنساني في حالي السلم والحرب وحالي القوة والضعف وأغفلت النهج النبوي العظيم في تطبيق شريعة الإسلام ، بإظهار ضوابطه الشرعية واصوله الأخلاقية في حالي الحرب والسلم وحالي القوة والضعف ، كما أنها إجتزأت التاريخ النبوي ، وأسقطت عمداً الحقبة المكية من حياة المرسل لنشر الرحمة والسلام في العالمين ، عليه صلوات الله رب العالمين

وفي سبيل تبيان السنة النبوية في السلم والحرب والمعاهدات، والعلاقة الدينية بالغير، نتوقف عند فقرات خمس، تضع بين أيدينا جملة براهين وأدلة كفيلة بدحض العديد من حجج المجموعات المتطرفة في حراكها العنيف المسلح المخالف للشرع والعقل:

الفقرة الأولى: إحترام الرسول صلى الله عليه للنظام الإجتماعي السائد في مكة المكرمة.

إن الرسول الكريم عليه صلوات الله ، هو رسول رب العالمين إلى جميع العالمين ، وهو قادر – بما أعطاه الله سبحانه من عطايا ، وبما سخر له من أملاك – أن يطبق على معانديه الأخشبين ، ويقيم على أنقاض وجودهم الوجود الجديد لأمته، ولكنه صلوات الله عليه لم يمد يده الشريفة ليقلب بالقوة النظام الإجتماعي السائد في البلد الذي ولد فيه ونشأ فيه وعاش شبابه فيه.

هذا النظام القائم على التعصب القبلي وما يتفرع عليه من فعالية علاقات الدم والولاء والحلف والجوار.

اختار صلوات الله عليه – كما يتبدى لنا من سيرته الطاهرة طوال الحقبة المكية - أن يجعل حراكه لنشر دعوته الحقة منضبطا بالنظام الإجتماعي السائد في مكة المكرمة ، ولكنه في الوقت نفسه جعل انضباطه حيا فاعلاً وليس إستسلاماً سلبياً متخاذلاً ، فنراه صلوات الله عليه يستفيد من تفاعله مع الغير ، ليجري تغييراً سلمياً من داخل بنية النظام نفسه ، بدليل أن المؤمنين به صلوات الله عليه كانوا يزيدون ولا ينقصون وأذكر مثالين فقط يدلان على إحترامه صلى الله عليه وسلم للتركيبة الإجتماعية المكية وإستثمارها لصالح صحابته في الوقت نفسه :

المثال الأول : عندما أعلن أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم – والذي تولى رئاسته بني هاشم وريادة قريش بعد أبيه عبد المطلب- بأنه يبسط حمايته على ابن أخيه ويناصره في الحرب الوجودية التي إستشعر أنه رؤساء قريش سيعلنونها عليه ، وأنه سيكون خصماً وحرباً على كل من يمس النبي محمد بأذى ،

هنا لم يرفض النبي صلى الله عليه وسلم حماية العم ، بحجة أنه ليس على دينه وأنه لا يؤمن به رسولاً ، وبذلك إستثمر صلى الله عليه وسلم النظام الإجتماعي، ولم يسقط دور القبيلة في حفظ حياة الشخص . ومن ثم حث كل صحابته على تفعيل دور قبائلهم وأحلافهم في حمايتهم، ولم يفردهم معزولين كي لا يسهل الوصول إليهم وقتلهم أجمعين، بل جعلهم مرتبطين بقبائلهم حماية لحياتهم.

و هكذا إحترم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم العصبية القبلية طوال الحقبة المكية ، ولكنه بعد أن جمع المسلمين في أمة واحدة في المدينة المنورة ، أبطل العصبية القبلية سمة المجتمع الجاهلي وجعل أمن المسلم مرتبطاً بأمة المسلمين لا بقبيلته.

المثال الثاني: نراه صلوات الله عليه يذهب إلى الطائف - بعد فقد الكفيل من عشيرته بموت عمه أبي طالب ، وازدياد أذى قريش للمؤمنين -، و في الطائف ذاق صلوات الله عليه مرارة قسوة إيذاء أهلها (من قبيلة ثقيف) الذين أعدوا لإستقباله أكوام حجارة ورموه بها حتى سالت دماء قدميه الشريفتين على نعليه. ولكنه صلى الله عليه وسلم عند عودته إلى مكة المكرمة وقبل أن يدخلها من جديد ، وفي ظل الخطر الظاهر على حياته الشريفة أرسل إلى المطعم بن عدي يطلب جواره والمطعم قرشي وسيد بني نوفل

و من هذا المثال نتبين أن الرسول صلوات الله عليه إحترم نظام الجوار - وأبقاه فاعلاً في مجتمع الإسلام في المدينة المنورة ، إلاّ أنه رفعه إلى مستوى عظيم من الرحمة والمساواة ، فبعد أن كان المجير من شروطه أن يكون سيداً مطاعاً في عشيرته، أصبح يجير على المسلمين أدناهم، فأيما رجل أو إمرأة ، رفيع أو وضيع ، أجار أحدا وجبت على جميع المسلمين إجارته.

الفقرة الثانية: إحترامه صلى الله عليه وسلم للقانون السائد- لا حرب أهلية في الإسلام.

لا يوجد في المجتمع القبلي نظام قانوني بالمعنى المعروف اليوم، ولمن كل ما أجمع عليه كبراء المجتمع وتعاهدوا على تنفيذه، وربما كتبوه في ورقة وعلقوها على باب الكعبة

، فهو بمثابة قانون ملزم. وقد إحترم صلوات الله عليه ما تعاهد عليه صناديد قريش، عندما ألزموا بني هاشم بالعيش في شعب من شعاب مكة، وعلقوا صحيفة في جوف الكعبة ، تقول ما معناه : لا بيع ولا زواج ولا طعام ولا شراب لكل من تبع دين محمد صلى الله عليه وسلم.

ظل الرسول الكريم صلوات الله عليه طوال ثلاث سنوات تحت الشمس الحارقة وفي ليالي البرد القاسية ن ولكنه صلى الله عليه وسلم حول بحكمته العظيمة هذه المعاناة لتكون بمثابة تأهيل عملي للمؤمنين

إن الإسلام في الحقبة المكية لم يخلُ من رجال أشداء أقوياء(كأسد الله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أو الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه) ، فهؤلاء رجال مؤهلون يشتعلون حماساً لقتال عتاة قريش واحداً ، واحدا ، وكم واحد منهم عرض ذلك، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأي أحد بأي عمل عنيف، ، لقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على أمن العائلات في بيوتها، وعلى حياة الأطفال الناظرة إلى مستقبلها ، فلم يأذن بأي عنف، لأن العنف يستدعي العنف، وقد يتسبب في حرب أهلية ، تسرق الأمن والأمان من جميع السكان الضالعين في أذية المسلمين وغير الضالعين.

وهذا يعني أن أي حرب أهلية أو أي تسبب فيها، هو مخالفة لشريعة الإسلام القويم ولسنة الرسول الكريم عليه صلوات الله

الفقرة الثالثة: إعتماد أسلوب الإقناع والحوار.

عند تلاوته لآي القرآن الكريم أو عند النظر في السيرة المحمدية الطاهرة وفي الحديث النبوي الشريف فكثيرا ما يدهش المرء من أمرين:

أولهما : لكأن صناديد قريش قد تفرغوا لصد الإسلام وتعذيب المسلمين.

وثانيهما : عظيم صبر سيدنا رسول الله عليه صلوات الله على الحوار مع قادة قريش ومحاولته إقناعهم برسالة الإسلام الخاتمة للأديان. ولعل السبب في تفرغ كبراء قريش لأذية المسلمين هو أنهم كانوا يعملون أشهرا قليلة في العام (حوالي الشهرين أو الثلاثة) ثم يرتعون في الكسل باقي العام، فيجلسون – في الغالب- نهاراً في فناء الكعبة يترصدون النبي صلى الله عليه وسلم لأذيته أثناء صلاته أو أثناء مروره، وينصرفون ليلاً لإشباع غرائزهم بفنون المتع واللذات.

شهر لرحلة الشتاء إلى اليمن، وشهر لرحلة الصيف إلى الشام ، وما بين الرحلتين قد ينشغلون قليلاً بخدمة الحجيج ، وما عدا ذلك من أعمال تفرضها الحياة يتركونها للطبقات الدنيا من العبيد والخدم.

فمجتمع مكة طبقي، يحتقر العمل اليدوي ، ويثمن المال والتجارة ، هذا النمط الإجتماعي البشري هو الذي رفضه الإسلام ، ليقيم مجتمع المساواة والأخوة في المدينة المنورة، و هو مجتمع يحترم العمل ويراه شريفاً في كل الميادين، ويثمن الإنسان بمنفعته للناس ، لا بماله ولا نسبه.

ولا يمكننا إحصاء مئات الحوارات التي أنشأها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة ، إما إبتداءً منه صلوات الله عليه، أو إستجابة لدعوة منهم. ولكننا قد لا نجد بعد البحث والتفتيش حواراً فكرياً واحداً لكبراء قريش ، فكل ما نجده هو التهديد والترهيب، أو المساومات والترغيب، أو محاولات الإغتيال ، أو المطالبة بأنواع المعجزات ليؤمنوا به صلى الله عليه وسلم رسولاً.

ومن دراسة هذه الحوارات النبوية يتبدى لنا نهج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في إعتماد الحوار الرفيق لنشر الإسلام، بإقناع العقول لتلتزم الإرادة بحرية ، وفي المقابل نفهم لماذا يتجه إلى العنف كل مقصر في الحجج، ضعيف في الحوار الكلامي، حتى الوالد في عائلته قد يصبح عنيفاً عندما تنضب حجته ويفقد إقتداره على الحوار العقلاني.

يتبع في العدد القادم إن شاء الله



بين الصوفية و الفلسفة

الدكتور: إبراهيم بيومي مدكور
وأستاذ جامعي - مصر

مناجاة القلب طهرة لمن شاء أن يتطهر، وصفاء لمن أراد التبرؤ من الرجس والدنس. ومحادثة الروح عروج إلى سماء النور والملائكة، وصعود إلى عالم الفيض والإلهام. فلنهجر الأجسام زمناً ونفرغ إلى نفوسنا حيناً. والجسم والنفس كانا ولا يزالان في صراع دائم ومعركة مستمرة، يقدر فيها لأحدهما الفوز مرة وللآخر تارة أخرى. وقد يبدو غريباً أن نتحدث عن فيض وإلهام وروح ونفس في عصرنا الحاضر الذي طغت فيه المادة على كل شيء، فأصبحنا لا نؤمن إلاّ بكل مشاهد، ولا نسلم إلاّ بكل مرئي. بيد أنا حتى في هذا العصر المادي نشعر بحاجة ماسة إلى كشف ما غاب عن أبصارنا وانطوت عليه نفوسنا، ونركن كثيراً إلى ما تمليه ضمائرنا. وما دام فينا قلب يخفق وعاطفة تتأجج، فإنا لا نستطيع إنكار لغة القلوب والأرواح؛ وإذا تتبعنا المذاهب الفلسفية على إختلافها وجدنا أنه لم يخل واحد منها من نزعة صوفية. وها هو ذا أرسطو الذي كان واقعيا في بحثه وطريقته، ورجل مشاهدة وتجربة في ملاحظاته وإستنباطاته، قد إنتهى به الأمر إلى أن بنى دراسته النفسية على شيء من الفيض والإلهام، ووضع في قمة الأخلاق فضائله العقلية التي هي أسمى درجة من درجات التأمل والمشاهدة الصوفية

حقاً إن الإدراكات الروحية والإلهامات القلبية قد تكون غير يقينية، أو قد يعزّ على الأقل إثباتها ببراهين قطعية يتقبلها الآخرون؛ إلاّ أنها مبعث طمأنينة وهدوء وسكون؛ ذلك لأنها معرفة شخصية مباشرة؛ والكلام إذا خرج من القلب وصل إلى القلب. وكم يجهد الإنسان نفسه في صوغ الأقيسة وإقامة البراهين لإثبات أمر ما من دون أن ينعم بالهدوء والسكون اللذين يحس بهما حين يناجيه قلبه وتخاطبه روحه. وقديما مر الغزالي بمستويات من البحث والنظر، وإشتغل بدراسات كثيرة، ولكن لم تطب نفسه إلاّ للمعرفة الصوفية تفيض عليه فيضاً ويلهمها إلهاماً. وحديثاً شكّ ديكارت في كل شيء، اللهم إلاّ في نفسه وتفكيره. ولما إنتهى إلى هذه الحقيقة الثابتة كانت أساس اليقين في رأيه ونقطة البدء لكل فلسفته. وهناك فلسفات قامت بأسرها على المناجاة الروحية والإتصال بالله؛ فأفلوطين في مدارس الإسكندرية يرى أن الجذب والفيض هما السعادة التي ليست وراءها سعادة؛ وقد جد شخصياً في تحقيقهما طوال حياته، ولم يحظ بهما إلاّ بضع مرات. ومالبرنش في القرن السابع عشر يقول باتصال مستمر بين العبد وربه. فمعرفتنا ليست إلاّ فيضاً من الله، وما يبدو منّا من عمل خارجي ليس إلاّ ظروفا ومناسبات لتحقيق إرادة الله، وبهذا يتلاشى المخلوق في الخالق، ويندمج الأثر في المؤثر.

لسنا نحاول هنا التحدث عن التصوف في جملته، ولا التعرض لمختلف مظاهره وأدواره منذ نشأته، وإنما نريد فقط أن نفصل القول في نزعة صوفية سادت الفلسفة الإسلامية؛ فنتبين كيف تكونت وشبت ونشأت، ونشرح الأصول التي صدرت عنها، والعوامل التي أثرت بها، ونحدد مدلولها ومرماها. وإذا ما تم لنا هذا إستطعنا أن نوضح آثارها ونتائجها. فحديث القلب والروح الذي نحن نتحدث عنه مقصور على ما جاء به الفلاسفة المسلمون، ووقف على الجانب الصوفي في الفلسفة الإسلامية.

وما كان أجدرنا في بحث كهذا أن نستعمل لغة خاصة وأسلوباً خاصاً، بل وأن نلجأ إلى مكان خاص، فإن لغة العقل تعجز أحياناً عن التعبير في دقة عما يكنه القلب، وأسلوبنا المشوب بشوائب مادية قد لا يجد السبيل إلى وصف الإلهامات النفسية، والأرواح التي تسبح في عالم النور تعزّ مناجاتها في حيز المادة والجسم المحدود. ولعلّ الصوفية مصيبون في التزيي بزي خاص، كي يتفق ظاهرهم مع باطنهم، وفي إتخاذ لغة معينة تفصلهم عمن سواهم؛ غير أن هذه اللغة زادت آراءهم تعقيداً، وكست نظرياتهم بثوب كثيف من الغموض والإبهام. وسنجتهد في أن نجلي غامضها، وأن نقربها ما إستطعنا من العرف المألوف.

لذا نقول : عني الباحثون من قديم بدراسة التصوف الإسلامي في جملته مدفوعين غالباً بما في الموضع من طرافة، ومحاولين أن يكشفوا ما إحتواه الإسلام والشرق من حقائق وأسرار. ويغلب على الظن أن الأبحاث الصوفية أول موضوع لفت أنظار المستشرقين؛ ولا تزال هذه الأبحاث محلّ عنايتهم حتى اليوم؛ ومؤلفاتهم فيها تزيد كثيراً على ما كتبوه في الدراسات الإسلامية الأخرى. ولا غرابة فالغرب متعطش دائماً إلى تعرف صوفية الشرق. وكأن هذا الأخير وهو مصدر النور والضوء أبى إلاّ أن يكون في الوقت نفسه مقر القوى الخفية والأسرار الغامضة. ومن دون أن نعرض لكل من إشتغلوا بموضوع التصوف من كبار المستشرقين نكتفي بأن نشير إلى رجال القرن العشرين، ونخص بالذكر منهم جولد زيهير النمسوي الذي عقد للتصوف فصلاً ممتعاً في كتابه (عقيدة الإسلام وقانونه) بجانب أبحاث أخرى قيمة؛ والأستاذ مكدونلد الأمريكي الذي وضح كثيراً من آراء الغزالي الصوفية، والأستاذ نكلسون المدرس بجامعة كمبردج، والأستاذ ماسنيون المدرس بكليج دي فرنس، والدكتور محمد إقبال العالم الهندي المشهور؛ وعلى رأس هؤلاء جميعاً نضع نكلسون وماسنيون، فانه يرجع إلى الأول الفضل في نشر كثير من مخلفات الصوفية القيمة والتعريف بها؛ أما أستاذنا ماسنيون فقد رسم في التصوف طرائق جديدة، وقدم لنا الحلاج صورة غنية بالألوان والمعاني الدقيقة في كتاب يعد أوسع مؤلف في تاريخ التصوف الإسلامي. غير أن آراء فلاسفة الإسلام الصوفية لم تدرس بعد ولم توجه إليها العناية التي تستحقها. حقاً إن مهرن المستشرق الدنمركي، تنبه على بعض مؤلفات إبن سينا الصوفية، وقام بنشرها وترجمتها. كما أن البارون كارادي فو لمح لدى الفارابي نزعة صوفية واضحة. إلاّ أن هذه الأبحاث ناقصة وغير ناضجة. ولهذا لا زلنا نجهل أفكار فلاسفة الإسلام الصوفية كما نجهل نظرياتهم الفلسفية بالمعنى الدقيق. وكل ما نرجوه أن نكشف الغطاء عن هذه الناحية وأن نوجه الأنظار إليها.

وإذا شئنا أن نعرف أقدم صورة للأفكار الصوفية عند فلاسفة الإسلام، وجب علينا أن نصعد إلى أبي نصر الفارابي. فانه أول من صاغ الفلسفة الإسلامية في ثوبها الكامل ووضع أصولها ومبادئها. ونحن لا ننكر أن الكندي تنبه قبله على دراسة أفلاطون وأرسطو وعرض لبعض نظرياتهما بالشرح والإختصار؛ ولكنا لا نجد لديه مذهباً فلسفياً كاملاً بكل معاني الكلمة، بل هي نظرات متفرقة ومتعلقة بمواضيع مختلفة لا رابطة بينها. أما الفارابي فقد لم هذا الشعث وأقام دعائم مذهب فلسفي متصل الحلقات. ومن أهم أجزاء هذا المذهب وعلى قمة هذا البناء نرى نظرية صوفية إمتازت منها الفلسفة الإسلامية من كثير من الفلسفات الأخرى. فالتصوف إذن قطعة من مذهب الفارابي الفلسفي لا ظاهرة عرضية كما يزعم كارادي فو. ولا أدل على هذا من أن هناك رباطاً وثيقاً يربطه بالنظريات الفارابية الأخرى، نفسية كانت أو أخلاقية أو

سياسية. وقد أثر هذا التصوف تأثيراً عميقاً بمن جاء بعده من فلاسفة الإسلام.

ولعل أخص خصائص النظرية الصوفية التي قال بها الفارابي أنها قائمة على أساس عقلي. فليس تصوفه بالتصوف الروحي البحت الذي يقوم على محاربة الجسم والبعد عن اللذائذ لتطهر النفس وترقى مدارج الكمال، بل هو تصوف نظري يعتمد على الدراسة والتأمل. وطهارة النفس في رأيه لا تقصد عن طريق الجسم والأعمال البدنية فحسب، بل عن طريق العقل والأعمال الفكرية أولاً وبالذات. هناك فضائل عملية جسيمة ولكنها لا تذكر في شيء بجانب الفضائل العقلية النظرية، ولئن كانت الأعمال الحسنة والخلال الحميدة بعض الخير، فالخير كل الخير في مسألة نتدارسها وحقيقة نكشفها ومعرفة تتهذب بها نفوسنا وتسمو عقولنا. وذلك أن العقل البشري سالكاً سبيل رقيه وتطوره يمر بمستويات متدرجة بعضها فوق بعض. فهو في أول أمره عقل بالقوة، فإذا ما أدرك قدراً كبيراً من المعلومات العامة والحقائق الكلية أصبح عقلاً بالفعل. وقد يتسع مدى نظره، ويحيط بأغلب الكليات فيرقى إلى أسمى درجة يصل إليها الإنسان وهي درجة العقل المستفاد أو درجة الفيض والإلهام. وعلّ في هذا ما يبين كيف إتصل التصوف عند الفارابي بعلم النفس، ونظرية المعرفة.

ولن يقف الأمر عند هذا الحد، بل التصوف الفارابي متين الصلة بالنظريات الفلكية و ما وراء الطبيعة ، فإن الفارابي يتخيل نظاما فلكياً أساسه أن في كل سماء قوة روحية أو عقلاً مفارقاً يشرف على حركتها ومختلف شؤونها، وآخر هذه القوى وهو العقل العاشر موكل بالسماء الدنيا والعالم الأرضي، فهو نقطة إتصال بين العالمين العلوي والسفلي، وكلما إتسعت معلومات المرء إقترب من العالم العلوي ودنت روحه من مستوى العقول المفارقة، فإذا وصل إلى درجة العقل المستفاد أصبح أهلاً لتقبل الأنوار الإلهية وأضحى على إتصال مباشر بالعقل العاشر. فبالعلم والعلم وحده يمكننا أن نربط السماوي بالأرضي والإلهي بالبشري والملائكي بالإنساني، وأن نصل إلى أعظم سعادة ممكنة. والمعرفة النظرية ما وراء الطبيعة هي أسمى غاية ينشدها العقل الإنساني. وإذا ما إنتهينا إلى هذه المرتبة تحررت نفوسنا بتاتاً من كل ما هو مادي وجسمي وإلتحقت بالكائنات العقلية وإطمأنت إلى حالها هذه راجية أن تبقى فيها إلى النهاية.وهذه هي السعادة التي تنحو نحوها الفلسفة والأخلاق ويوصب إليها النظر والعمل ويسعى إليها الإنسان بدراسته وسلوكه، وهي الخير المطلق وغاية الغايات ومنتهى الرفعة الإنسانية وجنة الواصلين، يقول الفارابي: (والسعادة هي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود بحيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد، وأن تبقى على تلك الحال دائماً أبداً، إلا أن رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعال، وإنما تبلغ ذلك بأفعال إرادية، بعضها أفعال فكرية وبعضها أفعال بدنية، وليست بأي أفعال إتفقت، بل بأفعال محدودة مقدرة تحصل عن هيئات ما وملكات ما مقدرة محدودة. وذلك أن من الأفعال الإرادية ما يعوق عن السعادة، والسعادة هي الخير المطلوب لذاته، وليست تطلب أصلاً ولا في وقت من الأوقات لينال بها شيء آخر؛ وليس وراءها شيء آخر أعظم منها يمكن أن يناله الإنسان. والأفعال الإرادية التي تنفع في بلوغ السعادة هي الأفعال الجميلة. والهيئات والملكات التي تصدر عنها هذه الأفعال هي الفضائل؛ وهذه ليست خيراً لذاتها، بل لما تجلب من سعادة. والأفعال التي تعوق عن السعادة هي الشرور والأفعال القبيحة. والهيئات والملكات التي تصدر عنها هذه الأفعال هي النقائص والرذائل والخسائس).

(يتبع في العدد القادم إن شاء الله)



فارس الخوري العالم و رجل الدولة.. امتَدعَ الإسلام.. فهل ماتَ عليه؟

بقلم: د. وليد سروجي
مدير مركز الأبرار التربوي - لبنان

يُفاخر السوريون ومن قَبلهم اللبنانيون بالسياسي والحقوقي الرئيس فارس الخوري؛ فهو لبنانيُّ الأصل والمنشأ، وسوري الجنسية والهوية؛ فقد ولد في القرن التاسع عشر من العام ١٨٧٣م في بلدة «الكفير» (قضاء حاصبيا في جنوب لبنان)، وأتمَّ دراسته في الكلية الإنجيلية السورية (الجامعة الأميركية لاحقًا) في بيروت، ثم انتقل إلى دمشق، ونال شهادة الليسانس في الحقوق، وامتهَنَ المحاماة، ثم عمل فيها مترجما للقنصلية البريطانية قبل أن يُنتخَب نائبا في مجلس «المبعوثان» العثماني، ثم سَجَنه جمال باشا في العام ١٩١٦م. ثم نفاه إلى إسطنبول، ليعود إلى دمشق ويُنتخَب نقيبا للمحامين في العام ١٩٢٠م. وفي العام ١٩٢٦ تعرَّضَ للنفي خارج البلاد من قِبَل الفرنسيين.

وقد توسَّد العديد من المناصب الإدارية والسياسية في سوريا؛ فقد تقلَّد وزارة المالية، ووزارة المعارف، ثم كان رئيسا للمجلس النيابي (١٩٣٦)، ورئيسا للوزراء (١٩٤٤)، ثم مندوبا لسوريا في مجلس الأمن (١٩٤٦)، ثم رئيسا لمجلس الأمن (١٩٤٧).

وإلى جانب ذلك كان عُضوا مؤسِّسا لمجمع اللغة العربية في دمشق «المجمع العلمي العربي» (١٩١٩). ومدرِّسا مرموقا في معهد الحقوق.وقد كان الخوري أديبا، وشاعرا، ومدرّسا، وخطيبا، ومحاورا، ويُتقن إلى جانب العربية: الإنجليزية، والفرنسية، والتركية، وقد وضَعَ العديد من الكتب، منها: (أصول المحاكمات الحقوقيَّة) و(موجز في علم الماليَّة). والمعروفُ عنه تقديرُه الرفيع



للإسلام، وتنويهُه بالتشريع الإسلامي وبُعده الحقوقي، وقد بادَلَه المسلمون الاحترام والتقدير، فكاد يفوز برئاسة البرلمان السوري بالإجماع؛ وإن أدنى نظرة إلى ما كان يُذيعه وينشره عن الإسلام لتشي باعتزازه بقِيَمه وتشريعه، ما حدا بعلماء المسلمين إلى الإشادة به والتنويه بفضله، ومنهم الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى، مما سنأتي على تفصيل كلامه المستفيض في حقِّ فارس الخوري.

ولكن فلنقِف هنيهة أمام ما كتبه فارس الخوري من عَرض لمفاخر التشريع في الإسلام، وذلك بتقديمه لكتاب (الشَّرع الدولي في الإسلام) لمؤلفه د. نجيب الأرمنازي (مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٩٣٠م.). فقد مهَّد فارس الخوري للحديث عن مزايا الشرع الإسلامي بالكلام عن قسوة التشريعات اليهودية «المبنيَّة على القتل العام ومحوِ سكان البلاد المفتوحة» (ص «ه»)،

أما «الشريعة الإسلامية السمحاء فتركَت الأرض لسكانها وفَرضَت عليها خراجًا.. مقابل إقرار الأمن وإقامة العدل وحماية البلاد، وهو عَينُ ما تفعله كل سلطة عادلة». (ص «و»).

ثم يلفت الإنتباه إلى مزايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويصفه بكلمة «سيّدنا محمد»، وينعَتُ شريعتَه بالغَرَّاء، وينوِّه بوصيَّته بأهل الذمَّة خيرًا، وما نال النصارى من رعاية في بلاد الإسلام.

ثم يُجري مقايَسةً بين التشريع الحقوقي الإسلامي والتشريع الروماني، فيقرِّر أن التشريع الإسلامي «قائم على قواعد العدل المطلق ومُقتضَيات العقول، والثاني [التشريع الروماني] على المصالح والمنافع الدنيوية. (ص. «ط»).

ثم يجزم بنفي التشابه بين التشريعَين (الإسلامي والروماني)؛ ويدلل على ذلك بأمثلة، منها: هل يسقط الحق بمرور الزمن؟ فيُجيب:

«مُرورُ الزمان إمّا أن يُسقِط الحقَّ وإما أن يُسقط الدعوى؛ فالشرعُ الإسلامي لا يمكن أن يقول بسقوط الحق؛ لأن الحق يبقى في الذمَّة، والفردُ لا تبرأ ذمته إلاّ بالوفاء أو بالإبراء مهما مرَّ من الزمان على الحق. ولذلك قال [الشرع الإسلامي]: إنَّ الحق لا يسقط بتقادم الزمان، وإنما يمنع الحاكم عن سماع الدعوى. فلم يكتفِ الشارع الإسلامي بتأمين مصلحة الدنيا، بل استهدف مصلحة الآخرة أيضًا، في حين أن الشارع الروماني اتَّخذ الجانب الآخر، وقال: إن الحقَّ المتروك يسقط، والساقط لا يعود، ولم يكترث بإثقال الذمَّة وعقاب الآخرة». (ص «ط»).

ثم في موضع آخر يوازن بين أمراء القرون الوسطى، وبين أمراء المسلمين الذين كان رائدهم في الحرب «تقوى الله.. بالتزام العدل والرحمة والبُعد عما يشوب طهارةَ النفس وفضائل الأخلاق. ذلك ما نراه شائعا بين أمراء المسلمين وقوَّادهم». (ص «ي»).

ثم يضرب أمثلة نفيسة على عدل عمر رضي الله عنهم، ويصفه بأمير المؤمنين، ومنها منعُه الجنود عن قرى أهل الصلح والذمة «فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه.. فإنَّ لهم حرمةً وذمَّةً ابتليتُم بالوفاء بها «. (ص «ي»).

ونراه حين يعرض لمصادر التشريع الإسلامي، يصف المُحدِّثين بالصادقين، والفقهاء بالمحققين. (انظر: ص «ك»).

ثم يلفت إنتباه المسلمين إلى أهمِّية الحرص على تطبيق قواعد الإسلام «النبيلة» التي لو طبقوها على وجهها الأمثل «لكانوا جاؤوا للبشر بتأريخ ناصع الصفحات لا تشوبه شائبة» (ص «س»). ويشير إلى إمكانية أن تكون بعض الأخطاء التي ارتكِبَت قد جاءت نتيجة التشبُّه بالأعاجم. (انظر: ص «ع»).

هذا جانب من المقدمة الضافية والماتعة للحقوقي فارس الخوري التي أشاد فيها بخِلال التشريع الإسلامي ومزاياه.

وإنَّ ما سمِعه المسلمون من فارس الخوري مفكِرا ورجلَ دولة، وما عايَنوه من حرص على البلاد والعباد، ومناهضته للاستعمار الغربي (الفرنسي والإنجليزي) سواء في داخل البلاد أو عبر المحافل الدولية، كل ذلك جعله موضعَ الترحيب والإكبار من قِبل المسلمين، ومنهم الشيخ علي الطنطاوي، الذي خَصَّه بمديح واسع، سواء في مجلة (الرسالة) المصرية، أو في ثنايا كتابه (ذكريات علي الطنطاوي)؛ حيث أثنى عليه ثناءً مُستطابا، وباهى بمزاياه الأخلاقية والعلمية، ومن ذلك حديثه عن الاستفاضة بعرض مؤهِّلاته، فهو «العالِم الشاعر الفحل الخطيب البارع. وهو أحد عباقرة العرب في هذا العصر علما وفكرا وبيانا». وهو «الأستاذ العالِم الأديب الحاضر الجواب الصائد النكتة» (ذكريات علي الطنطاوي: ١٧٨/٢- ٢٠٥-٢١٦).

ثم يستغرق في الحديث عن وداعته وحلمه وقوة شكيمته، فيقول:

«عرفتُ فارسِ الخوري من قُرب، فرأيتُ فيه رجلاً وديعا ظريفا حليما واسعَ الصدر، ولكنه كان -مع هذا كله- هائلاً مخيفا؛ تراه أبدا كالجبل الوقور على ظهر الفلاة، لا يهزّه



شيء ولا يُغضبه، ولا يخرج به إلى الحِدَّة والهياج. يدخل أعنفَ المناقشات بوجه طلق وأعصاب هادئة، فيَسدُّ على خصمه المسالك ويُقيم السدود، من المنطق المُحكم، والنكتة الحاضرة، والسخرية النادرة، والعلم الفيَّاض، والأمثال والحِكم والشواهد، يَرقب اللحظة المناسبة، حتى إذا وَجدَها ضربَ الضربة الماحقة وهو ضاحك، ثم مدَّ يدَه يصافح الخصم الذي سقط. لا يرفع صوته ولا يثور ولا يعبس ولا يغضب، ولكنه (أيضاً) لا يفرّ ولا يُغلَب» (ذكريات الطنطاوي: ٢١٠/٢).

ويُكبر فيه أنه (وهو السياسي والدبلوماسي) لا يرى سبيلاً لاستعادة فلسطين بغير القوة والسَّاعد، وينقل عنه قوله:

«إنَّ قضية فلسطين لا تُحَلُّ في أروقة هيئة الأمم، ولكن تُحَل على سفوح الكرمل وشواطئ يافا وهضاب القدس، ولا تُحَل بالخطب والأشعار، ولكن بالحديد والنار». ذكريات: ٣٩٢/٦.

فهل مات فارس الخوري -في العام ١٩٦٢- على الإسلام؟

يأتينا الجواب على لسان الشيخ علي الطنطاوي بأن فارس الخوري ماتَ مسلماً. وقد ترحَّمَ عليه في أكثر من موضع من مذكَّراته. (انظر: ٣٧٢/٧).

فعلامَ استندَ الطنطاوي (فضلاً عن مزايا الراحِل وامتداحه للإسلام)؟

لقد ابتنى الشيخ الطنطاوي حُكمَه على شهادة مَن كان يصاحب فارس الخوري، فيقول في معرض تسويغ انتخابه رئيسًا للوزارة والنيابة-:

«بل إنَّ أستاذَنا فارس الخوري وَلَّيناه رياسة مجلسنا النيابي ورياسة حكومتنا، ولم نأبَ ذلك عليه لأنه لم يكن على ديننا. ولا أقول إن ذلك جائز أو مشروع ولا أفتي بمثله ولكن أقرِّرُ ما كان، وإن كان الأستاذ فارس الخوري قد مات -كما شهدَ من كان يصحبه، وكما دلَّت عليه القرائن كلُّها- مات مسلماً». ٣٦٧/٧.

وفي موضع آخر يَقفُنا على تفصيلٍ يتعلَّق بمرض فارس الخوري وبوصيَّته، ويذكر اسم مَن شهدَ على إسلامه، فيقول:

«فلما مرضَ وطالَ مرضُه، رأيناه كلَّما عادَه أحدٌ من المسلمين حدَّثَه عن الإسلام، وكان يُكثر أن يطلب من شيخنا الشيخ محمد بهجة البيطار (ومِن غيره) أن يقرأ عليه القرآن، وأوصى (ونُفذت وصيتُه) أن يُتلى القرآن في مجلس التِّعزية به إذا مات. فكنتُ أحارُ في تفسير هذا كلِّه، حتى نشَرَ الأستاذ محمد الفرحاني كتابه عنه (وقد كان ملازماً له في مرضه لا يُفارقه أبداً) فإذا هو يؤكد أنه ماتَ على دين الإسلام، فرحمه الله ورحم الفرحاني الذي فرَّحَنا بهذا النبأ». ذكريات ٢٠٤/٢- ٢٠٥.



علّة نقل القوانين الأوروبية للبلاد الإسلامية

بقلم: عبد القادر عودة
كاتب - مصر

قد يظن بعضهم أن ولاة الأمور في البلاد الإسلامية نقلوا لها القوانين الأوروبية؛ لأنهم لم يجدوا في الشريعة غناء، وهذا ظن خاطىء أساسه الجهل الفاضح بالشريعة، فإن في الشريعة الإسلامية، وفي الفقه الإسلامي من المبادىء والنظريات والأحكام ما لو جمع في مجموعات لكان مثلاً أعلى في المجموعات التشريعية، وأعتقد أنه لو وضعت هذه المجموعات الإسلامية لنقلت البلاد غير الإسلامية أحكامها قبل جيل واحد، وأهملت ما لديها من مجموعات تعتز بها.

والعلّة الحقيقية في نقل القوانين الأوروبية للبلاد الإسلامية هي الإستعمار، والنفوذ الأوروبي، وقعود علماء المسلمين، فبعض البلاد الإسلامية أدخلت لها القوانين الأوروبية بقوة المستعمر وسلطانه؛ كالهند، وشمال إفريقيا. وبعض البلاد الإسلامية دخلتها القوانين الأوروبية لضعفها، وقوة النفوذ الأجنبي فيها من ناحية ومحاولة حكامها تقليد البلاد الأوروبية من ناحية أخرى، ومن هذا القسم مصر وتركيا.

ومن الثابت تأريخياً أن القوانين الأوروبية نقلت إلى مصر في عهد الخديوي إسماعيل، وأنه كان يود أن يضع لمصر مجموعات تشريعية مأخوذة من الشريعة ومذاهب الفقه الإسلامي المختلفة، وقد طلب من علماء الأزهر أن يضعوا هذه المجاميع، ولكهنم رفضوا إجابة طلبه؛ لأن التعصب المذهبي منعهم من أن يتعاونوا على إظهار الشريعة في أجمل صورها، فضحّوا بالشريعة جميعها، وإحتفظ كل بمذهبه والتعصب له، وأضاعوا على العالم الإسلامي فرصة طالما بكوا على ضياعها، وحق لهم أن يبكوا عليها حتى تعود.

وأحب أن أنبه على أن بعض البلاد الإسلامية التي أخذت مختارة إلى حدٍ ما بالقوانين الأوروبية لم تكن تقصد إطلاقاً مخالفة الشريعة الإسلامية. وليس أدل على ذلك من أن قانون العقوبات المصري الصادر في سنة ١٨٨٣ نص في المادة الأولى منه على أن (من خصائص الحكومة أن تعاقب على الجرائم التي تقع على أفراد الناس بسبب ما يترتب عليها من تكدير الراحة العمومية، وكذلك الجرائم التي تحصل ضد الحكومة مباشرة، وبناء على ذلك فقد تعينت في هذا القانون درجات العقوبة التي لأولياء الأمر شرعاً تقريرها، وهذا بدون إخلال في أي حال من الأحوال بالحقوق المقررة لكل شخص بمقتضى الشريعة الغراء)، وهذا النص مأخوذ من القانون التركي الصادر في ١٨٥٣/٦/٥.

وكذلك أستطيع أن أقول بحسب إعتقادي: أن أولي الأمر في معظم البلاد الإسلامية لم يخطر في بالهم أن يخالفوا الشريعة لا قديماً ولا حديثاً، ولكن القوانين جاءت مخالفة للشريعة على الرغم من ذلك، وعلى الرغم من حرص بعضهم على منع التخالف. ولعلّ السر في ذلك هو أن واضعي القوانين إما أوروبيون ليس لهم صلة بالشريعة، أو مسلمون درسوا القوانين ولم يدرسوا الشريعة.

أثر القوانين بالشريعة من الوجهة العملية

ترتب في إدخال القوانين الأوروبية في البلاد الإسلامية أن أنشئت في تلك البلاد محاكم

خاصة لتطبيق هذه القوانين، وعين لهذه المحاكم قضاة أوروبيون، أو قضاة وطنيون درسوا هذه القوانين، ولم يدرسوا الشريعة. وقد إعتبرت المحاكم الجديدة نفسها مختصة بكل شيءٍ تقريباً؛ فترتب في ذلك تعطيل الشريعة تعطيلاً عملياً؛ لأن المحاكم الجديدة لا تطبق إلاّ قوانينها.

كذلك أنشأت السلطة القائمة على التعليم كليات خاصة لتدريس القوانين، وقد جرت هذه الكليات على الإهتمام بدراسة القوانين الوضعية، وإهمال الشريعة إلا في مسائل قليلة كالوقف فأدى ذلك إلى نتيجة مخزية، إذ أصبح كل رجال القانون تقريباً – وهم من صفوة المثقفين – يجهلون كل الجهل أحكام الشريعة الإسلامية وإتجاهاتها العامة، أي إنهم يجهلون بكل أسف أحكام الإسلام، وهو الدين الذي تدين به الدول الإسلامية.

ولقد أدى الجهل بالشريعة إلى تفسيرٍ النصوص القليلة المأخوذة عن الشريعة تفسيراً يتفق والقوانين الوضعية ويختلف عن الشريعة في بعض الأحوال. من ذلك أن قانون العقوبات المصري ينص على أن أحكام قانون العقوبات لا تخل في أي حال من الأحوال بالحقوق المقررة لكل شخص في الشريعة الإسلامية، و على الرغم من وجود النص الصريح فإن الشراح المصريين لم يدرسوا هذه الحقوق كما هي موجودة في الشريعة، وإكتفوا بأن يدرسوا من الحقوق ما يقره القانون الفرنسي، وأن يدرسوه على طريقة الشراح الفرنسيين، وأن يعللوه بقواعد القانون، كما عللله الفرنسيون، ولقد إندفع الشراح المصريون في هذه الطريق تحت تأثير عاملين:

أولهما: أنهم لا يدرسون الشريعة، ولا يعرفون شيئاً من أحكامها وإتجاهاتها.

ثانيهما: أنهم يقيدون أنفسهم بآراء وإتجاهات الشراح الأوروبيين عامة، والفرنسيين خاصة؛ فلا يبيحون إلا ما أباحوا ولا يحرمون إلاّ ما حرموا. والشراح الأوروبيون لا يعرفون بطبيعة الحال شيئاً عن الشريعة الإسلامية.

أثر القوانين الوضعية بالشريعة من الوجهة النظرية

وإذا كانت القوانين الوضعية قد أدت عملياً إلى تعطيل معظم أحكام الشريعة، فإن هذه القوانين لا أثر لها بالشريعة من الوجهة النظرية، فنصوص الشريعة لا تزال قائمة، وأحكامها واجبة التطبيق في كل الأحوال، وهذا هو حكم الشريعة وحكم القانون مجتمعين؛ لأن القاعدة الأساسية في الشريعة والقانون أن النصوص لا ينسخها إلاّ نصوص في مثل قوتها أو أقوى منها؛ أي نصوص صادرة عن نفس الشارع، أو من هيئة يزيد سلطانها التشريعي على سلطان من أصدر النصوص المطلوب نسخها.

فالنصوص التي يمكن أن تنسخ الشريعة يجب أن تكون قرآناً أو سُنة؛ حتى يمكن أن تنسخ ما لدينا من قرآن وسُنة، وليس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم قرآن حيث إنقطع الوحي، ولا سُنة حيث توفي الرسول، ولا يمكن أن يقال إن ما يصدر من هيئاتنا التشريعية البشرية في درجة القرآن والسُنة، أو أن لها من سلطان التشريع ما لله والرسول. ولكن الذي يمكن أن يقال – وهو الواقع: إن أولي الأمر منا لا يمكلون حق التشريع، وإنما لهم حق التنفيذ والتنظيم على الوجه الذي بيناه فيما سبق. أما التشريع؛ فمن حق الله والرسول، وقد إنتهى عهده بوفاة الرسول، وإستقر أمره بإنقطاع الوحي.

حكم تعارض القوانين والشريعة

إذا تعارضت أحكام القوانين الوضعية والشريعة كان من الواجب تطبيق حكم الشريعة من دون حكم القانون؛ وذلك لثلاثة أسباب:

أولها: أن نصوص الشريعة الإسلامية لا تزال قائمة ولا يمكن إلغاؤها بحال كما بينا. أما نصوص القوانين فقابلة للإلغاء، ومعنى هذا أن نصوص الشريعة أقوى من نصوص القوانين.

ثانيها: أن الشريعة تقضي ببطلان كل ما يخالفها، وتمنع من طاعته، وقد شرحنا ذلك فيما سبق، فالقوانين المخالفة للشريعة تعتبر باطلة بطلاناً مطلقاً فيما جاء مخالفاً للشريعة.

ثالثها: أن القوانين المخافة للشريعة تخرج

على وظيفتها بمخالفتها للشريعة، وإذا خرج القانون على وظيفته لم يكن لوجوده محل، وكان باطلاً بطلاناً مطلقاً، وهذا هو ما تقضي به قواعد القانون الوضعي نفسه.

كيف خرجت القوانين المخالفة للشريعة على وظيفتها؟

الأصل في القوانين الوضعية أنها توضع لسد حاجة الجماعة ولتنظيمها وحماية نظامها ونشر الطمأنينة والسلام بين أفرادها، ومن أهم حاجات الجماعة حماية عقائدها ومشاعرها ونظامها، وفي البلاد الإسلامية يقوم نظام الجماعة على الإسلام، وتقوم عقائد الكثرة على الإسلام، فكان من الطبيعي أن تشرع القوانين مطابقة للشريعة الإسلامية تمام المطابقة، ولكن القوانين الوضعية لم تشرع على هذا النحو ، وإنما شرعت كما رأينا مخالفة للشريعة؛ فخرجت القوانين بهذا لا على الشريعة فقط، وإنما على الأصول التي يجب أن تقوم عليها القوانين والأغراض التي توضع من أجلها القوانين، فهي قوانين لا تقوم على أصل معروف ولا تستهدف غرضاً مشروعاً.

إذا استطعنا أن نعرف شيئاً من حقائق الإسلام وأحكامه سهل علينا أن نعرف كيف أن القوانين التي توضع في أوروبا لإسعاد الجماعة ونشر الطمأنينة والسلام بين أفرادها؛ إنما هي في البلاد الإسلامية العامل الأول في إيلام الجماعة والإساءة إلى مشاعرهم وإيغار صدورهم، وهي العامل الأول في عدم رضا الأكثرية عن هذه القوانين، بل هي العامل الأول الذي يدعو للفتنة ويهيىء للفوضى:

فالإسلام لا يسمح لمسلم أن يتخذ من غير شريعة الله قانوناً، وكل ما يخرج على نصوص الشريعة أو مبادئها العامة أو روحها التشريعية محرم تحريماً قاطعاً على المسلمين بنص القرآن الصريح، حيث قسم الله الأمر على أمرين لاثالث لهما؛ إما الإستجابة لله وللرسول، وإتباع ما جاء به الرسول، وإما إتباع الهوى فكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى، وذلك قوله تعالى:

(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (القصص- ٥٠)،

وقوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)

[الجاثية – ١٨ و ١٩]، وقوله تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)[الأعراف - ٣].

إن الله لم يجعل لمؤمن أن يرضى بغير حكم الله ، أو يحتكم إلى غير ما أنزل الله، بل لقد أمر الله أن يكفر بكل حكم غير حكمه، وإعتبر الرضا بغير حكمه ضلالاً بعيداً وإتباعاً للشيطان، وذلك قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)(النساء-٦٠).

فمن يحتكم إلى غير ما أنزل الله، وما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت، والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يحتكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله، فمن آمن بالله ليس له أن يؤمن بغيره، ولا أن يقبل حكماً غير حكمه.

إن الله لم يجعل لمؤمن ولا مؤمنة أن يختار لنفسه أو يرضى لها غير ما اختاره الله ورسوله، وذلك قوله تعالى:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) [الأحزاب - ٣٦].

إن الله أمر بأن يكون الحكم طبقاً لما أنزل،

وجعل من لم يحكم بما أنزل الله كافراً وظالماً وفاسقاً، فقال جل شأنه: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[المائدة - ٤٤]. وقال: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فألئك هم الظالمون)[المائدة -٤٥] وقال: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فالئك هم الفاسقون)[المائدة - ٤٧].

ومن المتفق عليه بين المفسرين والفقهاء أن من يستحدث من المسلمين أحكاما غير ما أنزل الله، ويترك كل ما أنزل الله أو بعضه من غير تأويل يعتقد صحته، فإنه يصدق عليهم ما قاله الله تعالى كل بحسب حاله، فمن أعرض عن الحكم بحد السرقة أو القذف أو الزنا مثلاً؛ لأنه يفضل غيره من أوضاع البشر فهو كافر قطعاً، ومن لم يحكم به لعلة أخرى غير الجحود والنكران فهو ظالم، إن كان في حكمه مضيعاً لحق، أو تاركاً لعدل أو مساواة؛ وإلا فهو فاسق.

إن الله نفى الإيمان عن العباد حتى يحكموا الرسول فيما شجر بينهم مع انتفاء الحرج والضيق عن صدورهم والتسليم والانقياد التام وذلك قوله تعالى:

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[النساء -٦٥].

إن كل ما الشريعة محرم على المسلمين، ولو أمرت به أو أباحته السلطة الحاكمة أيا كانت؛ لأن حق الهيئة الحاكمة في التشريع مقيد بأن يكون التشريع موافقاً لنصوص الشريعة، متفقاً و مبادئها العامة، وروحها التشريعية، فإن استباحت الهيئة الحاكمة لنفسها أن تخرج على هذه الحدود، فإن عملها لا يحل القوانين المحرمة، ولا يبيح لمسلم أن يتبعها أو ينفذها، بل من واجب كل مسلم أن يعصي هذه القوانين ويمتنع عن تطبيقها وتنفيذها لأن طاعة أولي الأمر لا تجب لهم مطلقة، وإنما تجب في حدود ما أمر به الله والرسول وذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(النساء-٥٩). وقوله تعالى: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)(الشورى-١٠).

وقد بينت السنة حدود الطاعة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وقال:(إنما الطاعة في المعروف) وقال:(من أمركم منهم بمعصية فلا سمع له ولا طاعة).

وقد أجمع أصحاب الرسول وفقهاء الأمة ومجتهدوها على أن طاعة أولي الأمر لا تجب إلا في طاعة الله، ولا خلاف بينهم في أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن إباحة المجمع على تحريمه؛ كالزنا، والسكر، وإستباحة إبطال الحدود، وتعطيل أحكام الشريعة، وشرع ما لم يأذن به الله؛ إنما هو كفر وردة، وأن الخروج على الحاكم المسلم إذا ارتد واجب على المسلمين، وأقل درجات الخروج على أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة.هذه هي بعض حقائق الإسلام، وتلك هي نصوص القرآن والسنة، وهذا هو واقع المسلم الذي يفهم الإسلام ويؤمن به، وهو ما يجب أن يكون عليه كل مسلم ويعمل له، والقوانين الوضعية التي وضعت أصلاً لحماية المشاعر والعقائد إنما تحاربها وتعتدي عليها إعتداء منكراً حين تأتي بما يخالف الشريعة الإسلامية، كما أنها ترهق الناس بما تفرضه عليهم من أوضاع تخالف الشريعة ويأباها الإسلام أشد الإباء.

وهكذا نستطيع أن نتبين مما سبق أن نقل (القوانين الوضعية الأوروبية) إلى البلاد الإسلامية يخرج بها على وظيفتها، ويؤدي إلى إثارة النفوس والإساءة إلى الشعور العام، ويجعل من هذه القوانين أداة صالحة لبعث الفتن، ووسيلة ناجحة لنشر الفوضى والاضطراب.



من لوازم العدل ومقتضياته

كتابة : د.علي أبو غنيم
إمام وخطيب - لبنان



في مقالنا هذا نعرض الجوانب العملية التي يفرضها العدل على المسلم، بالنظر لما نشأ من تفريط في ذلك، وخاصة في واقعنا المعاصر، و ذلك على النحو التالي :

ان من لوازم العدل على المسلم ،

١- التثبت من الأمر قبل الحكم عليه:

إن من العدل والإنصاف أن يتثبت المسلم من كل خبر أو ظاهرة، قبل الحكم عليها، وإن من الظلم والاعتداء الحكم على أمر بمجرد الظنون والأوهام، وقبل التثبت التام منه، ولقد بيّن الله سبحانه وتعالى لنا في سورة الإسراء،وفي آية واحدة، المنهج الصحيح الذي ينبغي سلوكه في مثل هذه الأمور، يقول –عز و جل-: [ولا تقف مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً] [الإسراء ٣٦].

وعن تفسير هذه الآية يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: لا تقل. وقال العوفي: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم. وقال محمد ابن الحنفية: يعني: شهادة الزور. وقال قتادة: لا تقل: رأيت، ولم ترَ، وسمعتُ، ولم تسمع، وعلمتُ، ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله» ، ومضمون ما ذكروه: أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: [اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ] اهـ[١] .

وفي كتاب ظلال القرآن يقول سيد قطب

-رحمه الله تعالى-: «والعقيدة الإسلامية عقيدة الوضوح والاستقامة والنصاعة، فلا يقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة، [ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً] ، وهذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً، ويضيف إليه استقامة القلب، ومراقبة الله، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة. والتثبت من كل خبر، ومن كل ظاهرة، ومن كل حركة، قبل الحكم عليها؛ هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم. الأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث، ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعيتها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤاده، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد. إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب، أمانة يسأل عنها صاحبها، وتسأل عنها الجوارح والعقل والقلب جميعاً، أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكماً على شخص أو أمر أو حادثة.[ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] .. ولا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين، وما لم تتثبت من صحته؛ من قول يقال ورواية تروى، ومن ظاهرة تفسر أو واقعة تعلل، ومن حكم شرعي، أو قضية اعتقادية.

وفي الحديث: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» [فتح الباري ٩/ ٥١٤٣] ، وفي سنن أبي داود (بئس مطية الرجل: (زعموا) » [عون المعبود ١٣ / ٤٥٩١] ، وفي الحديث الآخر: «إن أفرى الفرى أن يُري الرجل عينيه ما لم تريا» [مسند أحمد ٨ / ٦٦] .

وهكذا تتضافر الآيات والأحاديث على تقرير ذلك المنهج الكامل المتكامل، الذي لا يأخذ العقل وحده بالتحرج في أحكامه والتثبت في استقرائه؛ إنما يصل ذلك التحرج بالقلب في خواطره وتصوراته، وفي مشاعره وأحكامه، فلا يقول اللسان كلمة، ولا يروي حادثة، ولا ينقل رواية، ولا يحكم العقل حكماً، ولا يبرم الإنسان أمراً إلا وقد تثبت من كل جزئية ومن كل ملابسة ومن كل نتيجة، فلم يبق هنالك شك ولا شبهة في صحتها، [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ] حقاً وصدقاً »اهـ[٢] .

٢-العدل في النقد ومعالجة الخطأ:

هذا الجانب من جوانب العدل يحتاج إليه في كل حال من أحوالنا الفردية والجماعية، وذلك في حل مشاكلنا ومعالجة أخطائنا معالجة شرعية تسيطر عليها روح المحبة والإخلاص. ويجدر بنا أن نذكر هنا المنهج العادل والطريقة المثالية لمعالجة الخطأ، وذلك حسبما رسمه لنا من أمرنا الله -عزّ وجلّ-، بأن يكون - صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة لنا، وما أكثر المواقف العادلة في سيرته - صلى الله عليه وسلم-، ونكتفي هنا بمثال واحد: ألا وهو موقفه -صلى الله عليه وسلم- من صنيع حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه- في فتح مكة، ويحسن أن نذكر القصة بتمامها، ليتضح لنا ذلك القسطاس المستقيم الذي إنتهجه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في معالجة هذا الخطأ، على الرغم من شناعته وخطورته: روى الإمام البخاري - رحمه الله - في (صحيحه) ، عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - قال: «بعثني رسول الله - صلى الله عليه ... وسلم - وأبا مرثد والزبير - وكلنا فارس-، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة ... خاخ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدركناها تسير على بعير لها، حيث قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقلنا: الكتاب؟ فقالت: ما معنا من كتاب، فأنخناها،

فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-؛ لتخرجن الكتاب، أو لنجردنك، فلما رأت الجد، أهوت إلى حجزتها - وهي محتجزة بكساء - فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال عمر: يا رسول الله؛ قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال -صلى الله عليه وسلم-: صدق، ولا تقولوا إلا خيراً. فقال عمر: إنه قد خان الله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة - أو - فقد غفرت لكم، فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم» اهـ[٣] . من هذه الحادثة نستطيع أن نحدد ثلاثة مستويات للمعالجة العادلة للخطأ، مهما كانت ضخامته.

١-المستوى الأول: التثبت من وقوع الخطأ، وفي هذه الحادثة قد تم التثبت عن طريق أوثق المصادر، ألا وهو الوحي، حيث أوحى الله -عزّ و جلّ- إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- بخبر الكتاب الذي أرسله حاطب مع المرأة، وأين هي المرأة.

٢-المستوى الثاني: تبُّين الأسباب التي دفعت إلى إرتكاب الخطأ، وهذا الأمر متمثل في قوله صلى الله عليه وسلم- لحاطب: (ما حملك على ما صنعت؟) ، وهذا المستوى مهم، لأنه قد يتبين بعد طرح هذا السؤال أن هناك عذراً شرعياً في ارتكاب الخطأ، وتنتهي القضية عند هذا الحد، فإذ لم تنته عند هذا الحد مثل ما ظهر في قضية حاطب، وأن العذر الذي أبداه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- لم يكن مقنعاً، ولكنه طمأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على صدق حاطب وأنه لا زال مسلماً، نقول: إذا لم يكن العذر مقنعاً من الناحية الشرعية فإنه يصار إلى:

٣-المستوى الثالث: وفيه يتم جمع الحسنات والأعمال الخيرة لمرتكب الخطأ، وحشدها إلى جانب خطئه، فقد ينغمر هذا الخطأ أو هذه السيئة في بحر حسناته، وهذا هو الذي سلكه الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع حاطب -رضي الله عنه-، حيث قال -صلى الله عليه وسلم- لعمر عندما استأذن في قتل حاطب: «أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة-أو: غفرت لكم » . وقد ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- كلاماً جيداً عن هذا الموضوع، حيث قال في رده على من قال: إن الله يعافي الجهال مالا يعافي العلماء؟ ...(فالجواب: أن هذا الذي ذكرتموه حق لا ريبة فيه، ولكن من قواعد الشرع والحكمة أيضاً أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل له ما لا يحتمل من غيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل فإنه يحمل أدنى خبث، ومن هذا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لعمر: (وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ، وارتكب مثل ذلك الذنب العظيم، فأخبر -صلى الله عليه وسلم- أنه شهد بدراً، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتيب أثره عليه ما له من المشهد العظيم، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ما له من الحسنات. ولما حض النبي- صلى الله عليه وسلم- على الصدقة، فأخرج عثمان -رضي الله عنه- تلك الصدقة العظيمة، قال: (ما ضرَّ عثمان ما عمل بعدها) ، وقال لطلحة لما تطأطأ للنبي -صلى الله عليه وسلم- حتى صعد على ظهره إلى الصخرة: (أوجب

طلحة) . وهذا موسى كليم الرحمن -عزّ و جلّ- ألقى الألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه له، ألقاها على الأرض حتى تكسرت، ولطم عين ملك الموت ففقأها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ وقال: شاب بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي؟ وأخذ بلحية هارون وجره إليه وهو نبي الله، وكل هذا لم ينقص من قدره شيئاً عند ربه، وربه تعالى يكرمه ويحبه، فإن الأمر الذي قام به موسى، والعدو الذي برز له، والصبر الذي صبره، والأذى الذي أوذي به في الله أمر لا تؤثر به أمثال هذه الأمور، ولا تغير في وجهه، ولا تخفي منزلته، وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم أنه من له ألوف من الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها، حتى إنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته وداعي شكره على إحسانه فيغلب داعي الشكر داعي العقوبة، كما قيل: وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع.

وقال آخر:

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً ... فأفعاله اللائي سررن كثير.

والله سبحانه يوازن يوم القيامة بين حسنات العبد وسيئاته، فأيهما غلب كان التأثير له، فيفعل بأهل الحسنات الذين آثروا محابه ومراضيه، وغلبتهم دواعي طبعهم أحياناً من العفو والمسامحة ما لا يفعله مع غيرهم) اهـ[٤] . خلاصة ما سبق عن هذا اللازم: أن العدل في القول والفعل، ومعالجة الأخطاء لو سلكنا فيها ذلك المسلك النبوي السابق تفصيله لما وقع كثير من المسلمين فيما وقعوا فيه اليوم من كيل التهم، والتشهير، وتتبع العثرات، والذي لا يستفيد منه إلا الشيطان وأولياؤه، ولا يفرح الشيطان بشيء كفرحه بالفرقة والاختلاف بين المسلمين، فقد روى الإمام مسلم-

رحمه الله- في (صحيحه) عن جابر -رضي الله عنه -قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، فيجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا؟ فيقول: ما صنعتَ شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت) ، قال الأعمش: أراه قال: يلتزمه [٥] . فإذا كان فرح الشيطان بالفرقة بين الزوجين بهذه الدرجة فكيف يكون فرحه بالفرقة بين دعاة المسلمين؟ ولو أن أحدنا إذا سمع شائعة عن مسلم أو طائفة ما قام بالتثبت منها، فإنه يصبح أمام أحد أمرين: إما أن تكون الشائعة لا أصل لها، وأنها مجرد ظنون وأوهام كاذبة، فيقضي عليها في مهدها؛ وإما أن يكون الأمر صحيحاً بعد التثبت، فيصار إلى البحث عن الأسباب والدوافع التي أدت إلى وجود هذا الخطأ، إما من صاحب الشأن، إن كان ذلك ممكناً، أو سؤال من يعرفه، أو من التمعن فيما كتبه، إن كان ذلك ... مكتوباً ... الخ. وهذا هو مراد الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما قال لحاطب: (ما حملك على ما صنعت؟) ، وإذا اتضح الدافع المؤدي إلى وجود هذا الخطأ وكان مقنعاً من الناحية الشرعية، فإن الأمر ينتهي عند ذلك.. وإن لم يكن مقنعاً فإنه يصار إلى النظر إلى حسنات هذا الشخص وبلائه وجهاده، لعل له حسنات عظيمة ينغمر فيها هذا الخطأ ويصبح ضئيلاً في الوقت الذي يسعى لتعديل الخطأ والمناصحة فيه بمحبة وإخلاص وحكمة. ولعله قد تبين لنا الآن من الحديث عن هذا اللازم المهم من لوازم العدل، وتبين لنا الفرق بين العدل في القول والعمل، وأثر ذلك في النصيحة والإصلاح والائتلاف، وبين الاعتداء في القول والعمل، وما ينتج عنه من تشهير وفرقة واختلاف، وذلك في وقت نحن معاشر أهل السنة والجماعة بحاجة شديدة إلى الوحدة والائتلاف لا إلى الفرقة والاختلاف.

٣- الفرح بإصابة الغير للحق والحزن على مجانبتهم له:

ولعلِ هذا اللازم من أصعب لوازم العدل تحقيقا، لأنه يمثل -في نظري- قمة العدل والتقوى والورع، حيث نرى الكثير من دعاة المسلمين اليوم فضلاً عن عامتهم إذا رأوا غيرهم قد أخطأ فإنهم يفرحون بذلك، حتى يحسبونه غلبة، بل إنك ترى الكثير منهم يتتبع الكتابات والمقالات التي قالها غيرهم وهمهم الوحيد هو تتبع العثرات، والفرح باصطيادها، في الوقت الذي لو وجدوا خلاف ذلك (من إصابة غيرهم للحق) فإنهم يحزنون لهذه الإصابة، وهذا -والعياذ بالله- هو الظلم والحقد والحسد والذي لا يلتقي مع العدل وحب الخير للناس، وما أحسن الحكاية التي ذكرها ابن رجب -رحمه الله- حول هذا الأمر حيث قال: (وقد استحسن الإمام أحمد ما حكي عن حاتم الأصم أنه قيل له: أنت رجل أعجمي لا تفصح، وما ناظرك أحد إلا قطعته؛ فبأي شيء تغلب خصمك؟ فقال: بثلاث، أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني عنه أن أقول له ما يسوءُه أو معنى هذا، فقال أحمد: ما أعقله من رجل) [٦] .

٤- الشهادة للمحسن بإحسانه وللمسيء بإساءته:

ومن المواقف المؤسفة التي تنافي هذا اللازم: أننا نرى اليوم كثيراً من الناس يفرطون في محبتهم أو كرههم، فإذا أحبوا شخصاً أو طائفة ما، فإنهم يفرطون في هذا الحب، ولا يعدلون فيه، حيث إنهم لا يرون إلا الحسنات، ويغمضون أعينهم عن الأخطاء والسيئات ويسوغونها ويؤولونها، وكأن من أحبوه لا يجوز عليه الخطأ، وهذا غلو واعتداء في الحب، قد يؤدي إلى الغلو في الرجال وتقديسهم، وفرق بين التقدير والتقديس. وفي مقابل ذلك إذا أبغضوا شخصاً أو هيئة ما فإن هذا الكره ينسيهم كل الحسنات والإيجابيات، أو أنهم يشككون في نوايا فاعليها، في الوقت الذي لا يذكرون إلا الأخطاء مع التضخيم والتهويل لها، ومعلوم ما في ذلك من ظلم واعتداء ومجانبة للعدل والإنصاف، وما أظن أحداً من المسلمين يوافق على هذا المنهج الجائر، لكن القناعات النظرية شيء والتزامها في الواقع شيء آخر! !

بقي أن نعرف المنهج الشرعي في مثل هذه المواقف، ألا وهو: الشهادة للمحسن أنه محسن، ويذكر له ذلك بتجرد وإنصاف، والشهادة للمسيء بأنه مسيء، والنصح له في ذلك، وتلمس العذر، إن كان هناك عذر شرعي لإساءته (كما سبق في المنهج الشرعي لمعالجة الخطأ) والإنتباه على أن كل بني آدم خطاء، و كل يؤخذ من قوله أو يرد، وأن الإعتدال في الحب والكره من لوازم قول الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ] الآية [النساء ١٣٥] .

ويا ليتنا نرجع إلى سيرة سلفنا الصالح -رضي الله عنهم-، وكيف كانوا في مواقفهم مع المخالفين؟ ، وكيف كانوا يقوِّمون الرجال؟ . فلقد روى الإمام مسلم في (صحيحه) عن عبد الرحمن بن شماسة قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، ... ... فقالت: من أنت؟ فقال رجل من أهل مصر، فقالت: كيف صاحبكم لكم في غزاتكم؟ فقال: ما نقمنا منه شيء، إن كان ليموت للرجل البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أن أخبرك: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول وفي بيتي هذا:» اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به «. ويعلق الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث بقوله: (وفيه أنه ينبغي أن يذكر ...فضل أهل الفضل، ولا يمنع منه سبب عداوة ونحوها) [٧].

وهذا الإمام ابن كثير -رحمه الله- يقول في ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية

بعد كلام طويل: (وبالجملة كان - رحمه الله- من كبار العلماء، وممن ... يخطىء ويصيب، ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في

بحر لجي، وخطؤه ... أيضاً مغفور له، كما في (صحيح البخاري) : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) فهو مأجور، وقال الإمام مالك بن أنس: (كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلاّ صاحب هذا القبر -صلى الله عليه وسلم-) اهـ[٨] . ...

ويقول الإمام ابن رجب -رحمه الله - في كتابه (الفرق بين النصيحة ... والتعيير) :

(ولهذا كان الإمام أحمد -رحمه الله- يذكر إسحاق بن راهويه ويمدحه ويثني عليه، ويقول: وإن كان يخالف في أشياء فإن الناس لم يزل بعضهم يخالف بعضاً. وكما قال وكان كثيراً ما يعرض عليه كلام إسحاق وغيره من الأئمة ومأخذهم من أقوالهم، فلا يوافقهم في قولهم، ولا ينكر عليهم أقوالهم ولا استدلالهم، وإن لم يكن هو موافقاً على ذلك كله) اهـ[٩] . ويذكر ابن الجوزي -رحمه الله -في كتابه (سيرة عمر) (٢٠٢) قول عمر - رضي الله عنه -: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً، وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه) اهـ[١٠] .

ونختتم هذا اللازم من لوازم العدل ببعض آراء مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- من مخالفيه سواء في الفروع أو الأصول:

يقول -رحمه الله- في ج ٣ ص ٣٤٨ في جوابه عن قوله -صلى الله عليه وسلم-: (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) ما الفرق؟ ، وما تعتقده كل فرقة من هذه الصنوف؟ ، فقال في معرض جوابه: (... ومما ينبغي أيضاً أن يعرف: أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات، منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة، ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه، فيكون محموداً فيما رده من الباطل وقال من الحق؛ لكن يكون قد جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق، وقال بعض الباطل، فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها؛ ورد باطلاً بباطل أخف منه، وهذه حال أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة، ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعة المسلمين، يوالون عليه ويعادون، كان من نوع الخطأ، والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك. ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها؛ بخلاف من والى موافقه وعادى مخالفه، وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات) اهـ[١١] .

(١) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٣٠٧ ط دار الفكر.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٥-، ص٣٢٦ ط، دار المعرفة اللبنانية.

(٣) فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧، باب فضل من شهد بدراً، ط السلفية.

(٤) مفتاح دار السعادة، ص ١٩٢، ط ٢: المصرية.

(٥) شرح مسلم للنووي ج ١٧ ص ١٥٧، ط المطبعة المصرية ومكتبتها.

(٦) الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب تحقيق نجم خلف، ص ٣٢، دار ابن القيم.

(٧) شرح مسلم للنووي ج ٢١ ص ٢١٢، ط دار الكتب العلمية.

(٨) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٣٩، ط دار المعارف.

(٩) الفرق ين النصيحة والتعبير ص ٣١، ٣٢؟ دار ابن القيم.

(١٠) خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ووصاياه، جمع محمد أحمد عاشور ص ١٢٣، دار الاعتصام.

(١١) مجموع الفتاوى، ج ٣، ص ٣٤٨.



كتاب الغيبوبة...الكتاب الأعجوبة !

كتابة : د.رعد مقبل العبيدي
محام وأستاذ جامعي - العراق

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، أما بعد ،
فيما يلي تعريف سريع بكتاب
(غيبوبة الولايات المتحدة الأمريكية).. القصة الحقيقية لإحدى ضحايا سيطرة وكالة المخابرات الأمريكية على عقل و تفكير عملائها.- تأليف: كاثي أوبراين/ مارك فيليبس
- ترجمة: مركز التعريب والبرمجة بالدار العربية للعلوم/ بيروت - الناشر: الدار العربية للعلوم/ بيروت
- تاريخ النشر: ط١- ٢٠٠٤م- ٤٤٤ صفحة
(غيبوبة الولايات المتحدة الأمريكية) ككتاب هو عبارة عن سيرة ذاتية موثقة لإحدى ضحايا التحكم الحكومي الرسمي في «بلد الديمقراطية» الأول في العالم الولايات المتحدة - كما يزعمون - .. والمؤلفة «كاثي أوبراين» هي الناجية الوحيدة المعلنة التي شفيت من آثار عملية «مونارك» السرية للتحكم في العقل البشري، والتابعة للمشروع الخاص بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية- أو الـ»سي. آي. إيه»- والمعروف في الوثائق السرية للوكالة باسم «UK-ULTRA».
و للعلم فإن الوكالة قد حفرت على حجر أبيض في مقدمة بنايتها في لانجلي بولاية فيرجينيا الأمريكية عبارة منقولة من الكتاب المقدس للمسيحيين وتحديدا من كتابات القديس «يوحنا» و نص العبارة مقولة : (والحقيقة ستجعلك حرًّا) ، و قد طبقتها الوكالة نفسها على طريقتها الخاصة، بإنَّ جمعت في أروقة بنايتها أكبر وأشهر مجموعة من مبتدعي الأكاذيب التي تسهل شن الحروب النفسية في العالم، و هذ المجموعة



من منتسبي الوكالة تستخدم الحقائق ووسائل التقنية الحديثة كموادٍ خام لإنتاج أكاذيب محضة، للسيطرة على العالم أو الأمريكيين أنفسهم، و لخداع حلفاء الولايات المتحدة أيضا. والكتاب يشتمل على القصة الكاملة لحالة «فأر التجارب» أو المواطنة الأمريكية «كاثي أوبراين» التي أستخدمت هي وإبنتها «كيلي» ضمن مشروع «UK-ULTRA» السري هذا، والتي نجت بفضل جهود عميل المخابرات (مارك فيليبس)، الذي نجح في تهريب أوبراين و إبنتها قبل أن تفقد كل منهما عقلها، أو تجري تصفيتها بالقتل

في نهاية الأمر، عندما تنتهي التجارب التي تجرى على كل واحدة منهما، وفي الكتاب يقدم كل من كاثي أوبراين ومارك فيليبس مجموعة من الوقائع والوثائق المدعومة بالصور، والتي تبين أولاً حجم التجاوزات التي تتم في المؤسسة الأمنية الأمريكية الأكبر والأشهر ضد حقوق الإنسان، وتوضح ثانياً جرائم الإدارات الأمريكية المتعاقبة بحق مواطنيها قبل الغرباء في أنحاء العالم المختلفة.

والكتاب يحتوي سبعة وثلاثين فصلاً مقسمة على قسمين الأول منهما وضعه «مارك فيليبس» وإحتوى على أربعة فصول والقسم الثاني وضعته فأر الإختبار «كاثي أوبراين» ذاتها عن التجارب التي تعرضت لها و أجريت عليها..

والحقيقة أنَّ أهمية هذا الكتاب لا تأتي من كونه يتحدث عن موضوع التجارب اللاإنسانية، التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فحسب، بل إنَّ أهميته تنبع من قيامه بكشف الحقائق المتعلقة بلجوء الولايات المتحدة وقادتها إلى شتى الوسائل المشروعة واللامشروعة لفرض الهيمنة الأمريكية على العالم، وتدعيم أركانٍ ما يسمى بالنظام العالمي الجديد،

ولعل مشروع «UK-ULTRA» الذي كشف هذا الكتاب عنه، يعتبر من أبرز الأدوات التي يتم بوساطتها تطويع العلم في سبيل السيطرة على عقول البشر فرادى وأمما بالسيطرة على المعلومات، ونشر الأكاذيب التي تؤدي ضمن ما تؤدي إلى نشر عدم الإستقرار في ربوع المجتمعات المستهدفة من قبل المخابرات الأمريكية.

والكتاب من قسمين الأول بعنوان:

(مع الحرية والعدالة للجميع)

و في هذا القسم من الكتاب، الذي وضعه (مارك فيليبس) نجد أولاً تعريف مصطلح «التحكم بالعقل» أو الـ«Mind Control» والذي يحمل الكثير من المعاني المتدرجة في قسوتها ومساسها بحقوق الفرد (فأر الإختبار) الذي تمارس بحقه هذه التجارب مع (السيطرة على المعلومات) الموجهة إليه وصولاً إلى عملية شاملة لـ (غسيل الدماغ) بصورة كاملة، والتحكم في كل نواحي سلوك وتفكير هذا الفرد، ثم تطبيق الأساليب التي أدَّت إلى هذه النتائج على مستوى عموم المجتمعات التي تستهدفها المخابرات الأمريكية فيما بعد نجاح التجارب.

وقد بدأت وكالة المخابرات الأمريكية في تطبيق مثل هذه الأساليب منذ مطلع عقد السبعينيات الماضية، وكانت الفكرة الأولى التي أدَّت إلى السير قُدما في مشروع «UK-ULTRA» السري هذا هي فكرة راودت القائمين على الوكالة فيما يتعلق بمسألة كيفية الإستفادة إلى أقصى مدى ممكن من الشعار القائل بأن (المعرفة قوة)، ومن ثمَّ فإن سرية المعلومات التي تشكل هذه القوة ينبغي أن تكون على رأس قائمة أولويات التجارب . و طبقا لأساليب عمل المخابرات الأمريكية، تحول الشعار من المعرفة قوة إلى (المعرفة قوة خفية في العمليات المخابراتية)،

وفي هذا الإطار فإن جريدة الـ(نيويورك تايمز) في عام ١٩٧١م نشرت تقريرا للحكومة الفيدرالية سمحت في نشره في إطار ما يُسمَّى بـ(حرية المعلومات)، وكان هذا التقرير في الأصل عبارة عن تقرير مقدم للكونجرس الأمريكي يبين بوضوح أن (وكالة المخابرات المركزية) مهتمة بدراسة سرية عن تأثير النتائج لعددٍ من الشعائر الدينية الغامضة التي تمارسها مجموعات من البشر تطبق السحر الأسود و تعتنق بعض المذاهب الغريبة، و التي ظهر للوكالة أن هذه الشعائر لها تأثيرات مختلفة على عقول وسلوك المشاهدين لها في تجمعات تستخدم فيها ممارسة هذه الشعائر، فاهتم بها خبراء وكالة المخابرات الأمريكية، و حاولوا الإستفادة منها لإستحداث التأثير المطلوب في فأر التجارب. وكان الإهتمام منصبا بشكل خاصٍّ على مستويات الإيحاء العالية التي تنتجها شعائر دينية معينة في عقول ممارسي هذه الشعائر ، و إشتملت دراسات المخابرات متابعة شخصيات آكلي لحوم البشر و مصاصي الدماء ، و صارت لها المكانة الأولى من حيث الأهمية في بحوث وتجارب (وكالة المخابرات المركزية).

و جمعت مع التطبيق الإستفادة من علوم النفس السلوكية، والتي تعلم منها الباحثون أنَّ السيطرة على قابلية الإيحاء لدى الإنسان تعتبر حجر الأساس في عملية التحكم الخارجي بالعقل، و ذلك على الرغم من أن مثل هذه التجارب ربما تقود إلى إثارة عددٍ من القضايا القانونية والإجتماعية المتعلقة بحقوق الإنسان، بإعتبار أنَّ القوانين قد جرى سنها للحفاظ على الإنسان و حقوقه و حماية عقله وسلوكه من مختلف مخاطر و أنواع السيطرة على فكره و جسده بالوسائل العلنية منها والمخفية.

وبوجهٍ عامٍّ فإن (وكالة المخابرات المركزية) عندما شرعت في تطبيق مثل هذه الدراسات إستندت بشكلٍ خاطئ للأسباب الموجبة لقانون الأمن القوميِّ الذي بموجبه تأسست الوكالة عام ١٩٤٧م؛ حيث كانت تعرف من قبل باسم (مكتب الخدمات الإستراتيجية الخاصة - أو الـ S.S.B)، أو إستغلت هذا القانون بصورة غير مشروعة.

وفي الفصل الثاني من هذا القسم الأول الذي كتبه مارك فيليبس يشير إلى بعض محطات من سيرته الذاتية حيث تدرج في منصبه الوظيفي من مجرد رجل إعلانات ودعاية وموظف مبيعات وصولاً إلى منصب (خبير في علوم العقل والسلوك) في (وكالة المخابرات المركزية).

والحقيقة إن قضية أو مسألة (التحكم في سلوك الخصم) تعتبر من أهم المسائل التي يجري بحثها في أروقة (وكالة المخابرات المركزية) وغيرها من المؤسسات الأمنية والعسكرية الأمريكية.

و ذكر مارك فيليبس ان في حياته ثلاث محطات مميزة دفعته إلى الإتصال بـ»وكالة المخابرات المركزية» والعمل فيها و هي على هذا النحو :

أولها : تعرفه على (أليكس هوستون) أحد أهم عملاء وكالة المخابرات المركزية في مجالات العمل القذر مثل:

تهريب السلاح وغسيل الأموال ودعارة الأطفال والرقيق الأبيض، والثانية: التخصص الذي حصل عليه فيليبس في مجالات الدعاية والإعلان وهو التخصص المتعلق بكيفية التحكم في سلوك المشاهدين لتنمية حجم المبيعات، و هذا تخصص نادر إلى حدٍّ ما .

أما الثالثة : فهي العلامة الفارقة في حياته وهي زواجه من المواطنة الأمريكية (كاثي أوبراين)، و التي هي و إبنتها منه (كيلي) قام هذا (الزوج و الأب) مارك فيليبس بإصطحبهما إلى مكانٍ مجهول داخل الولايات المتحدة، لممارسة هذهِ التجارب اللا إنسانية عليهما ضمن مجموعة كبيرة من المواطنين والأجانب.و بعد أن حلت الكارثة بزوجته و إبنته نتيجة تلك التجارب الخطيرة شرح ملابسات قيامه بتهريب زوجته و إبنته من مقر(وكالة المخابرات المركزية)؛ حيث كانت تجري هذه التجارب، ثم بعد الهرب شرح كيف بحث عن وسيلة للتخفي عن أنظار عملاء الوكالة .

و في هذا الخصوص يقول (مارك فيليبس) عبارات ذات دلالة كبرى على حقيقة الأوضاع داخل الولايات المتحدة وممارسات الأجهزة التنفيذية في الإدارة الأمريكية ومشكلات المجتمع الأمريكي ككل، وعلى رأسها مسألة غياب البعد الإنساني فيقولُ على سبيل المثال: (كنا هاربين من مجتمع مريض أصبح مجنونا بفعل مخدرات وكالة المخَابراتَ المركزية، و هو مجتمع وقع تحت وطأة أفلام العنف والجشع غير المسيطر عليه). ويقول أيضا في شرحه للمتاعب المالية والنفسية التي واجهها في محاولاته علاج كل من زوجته (كاثي) و إبنته (كيلي) من حالة الفصام وفقدان العقل والتمييز، التي أصيبت بها كل واحدة منهما نتيجة تجارب وبحوث (خبراء وكالة المخابرات المركزية) عليهما . فيقول بهذا الخصوص : (وإدخرتُ ما أمكنني من المال الذي كسبته في خمسة شهور لأستطيع التنقل ولأتمكن من البقاء على مقربة من زوجتي كاثي و إبنتي كيلي)، .

وبناءً على نصيحة مني إتصلت زوجتي (كاثي) بوالدها و(توسلت) إليه ليمنحها مساعدة مالية من أجل حفيدته (كيلي). وقد أرسل لها

(٥٠٠) دولار ، إلاّ أنه علَّق قائلاً : كاثي هذه أمريكا، ما لم تعودي إلى ميتشيجان (وحدك) فلا مزيدَ من المال !.و هذا القول دفعني إلى الظن أن نصيحتي كانت خاطئة بالإتصال بوالد كاثي !

وفي الصفحات التالية من الفصول التي كتبها (مارك فيليبس) يقدم المزيد من الشرح و التفاصيل عما تقوم به كل من وزارة الدفاع الأمريكية أو البنتاجون أو وكالة المخابرات المركزية، حيث تتحكم كل واحدة منهما في مجالات عمل طبية وعلمية بعينها، و في المقدمة منها (علوم الصحة العقلية) و (الطب النفسي).

ولقد واجه العديد من الفنيين والأطباء العاملين في هذه المجالات مجموعة من المشكلات الإجتماعية والقانونية أمام المحاكم والمجتمع الأمريكي، بسبب النتائج غير الإنسانية التي نتجت من تجاربهم، و لكن في المقابل واجهوا مشكلة عدم قدرتهم على الإفصاح عن مسئولية (البنتاجون) أو (وكالة المخابرات المركزية) عن التجارب التي سببت هذه المشكلات، لأن هذه التجارب كانت من الأسرار التي أمرت المخابرات بعدم كشفها و لا الإعلان عنها لأي سبب.

أما القسم الثاني من الكتاب فهو بعنوان :
جرائم من وراء الستار.. كاثي أوبراين: رسالتي للإنسانية !

و في هذا القسم من الكتاب تقوم (كاثي أوبراين- فأر التجارب) بعرض مفصل لتجربتها المروعة داخل أروقة (وكالة المخابرات المركزية)، متحدثة عن مجموعة من الحقائق المتعلقة بالجانب اللاأخلاقي من أنشطة الوكالة. وتقول في تقديمها لهذا القسم الخاص بها من الكتاب:

(بفعل التحكم بالعقل تحكما مطلقا تحت إستبداد مشروع «UK-ULTRA» للتحكم بالعقل المبني على أسلوب الصدمة فقدتُ القدرة على السيطرة على أفكاري الإرادية الإختيارية، ولم أتمكن من أن أفكر أو أن أسأل أو أعلل أو أفهم بوعي !

فقد كنت قادرةً فقط على القيام بما كان مسؤولو التجارب يدفعوني للقيام به، ولكن على الرغم من كل شيء فإنَّ أولئك الذين تحكموا في عقلي وفي نهاية الأمر تحكموا في أفعالي زعموا أنهم مختلفين عن البشر العاديين و بأنهم آلهة، و هم في حقيقتم مجرمون و شياطين بكل ما في الكلمة من معنى، و تجربتي المؤلمة بل المدمرة معهم أثبتت أن مقترفي هذه الفظائع لما يسمى بالنظام العالمي الجديد على الرغم من كل قدراتهم و تجاربهم فهم ما زالوا غير قادرين على التحكم في الروح الإنسانية).

و تمضي كاثي إلى القول : (إنَّ عنف ومتاعب تجربتي لم تنتهِ حتى لحظة كتابة سطور هذا الكتاب، و لم تنتهِ مع إستمرار معاناة إبنتي «كيلي» من حالة الغيبوبة الفكرية والعقلية التي نتجت من تجارب «وكالة المخابرات المركزية» عليها).

وفي سياق تعريف القارئ بملامح من سيرتها الذاتية قبل التعرُّض لتجارب وكالة المخابرات المركزية، تقدم كاثي أوبراين صورةً شديدة السوء والإنحراف عن الولايات المتحدة والمجتمع الأمريكي بوجه عام، حيث الشذوذ الجنسي وزنا المحارم على النحو الذي عانته المؤلفة بنفسها وشقيقها من جانب والدها «إيرل أوبراين» وأخوالها.. مما ترك بصماتٍ عنيفة على نفسيتها وطبيعة شخصيتها إستمرَّت معها حتى الكِبَر.. وبجانب ذلك توضح المؤلفة أن أخوالها قد توفوا بطريقةٍ تتطابق تماما مع طبيعة المجتمع الأمريكي، فخالها «تيد» توفي متشردا في شوارع ميتشيجان، أما خالها الآخر «بومبار» فقد توفي بسبب إدمانه للكحول والمخدرات.

كما أن المؤلفة كاثي أشارت إلى إنَّ والدها الذي كان تاجر رقيق أبيض، ويمارس دعارة الأطفال على نطاقٍ واسع ، كان إلى جانب زوجها قد تحمسٍ و ساهم في إرسالها إلى مشروع «مونارك» الأمريكي السري، الذي يعرف في وثائق (وكالة المخابرات المركزية) بإسم مشروع «UK-ULTRA»؛ لأنَّه مقابل تعاونه مع المخابرات و إمتثاله لأوامرها، قد حصل على مكافأة منحه (حصانة قضائية) تمنع السلطات

القضائية المحلية والفيدرالية من مساءلته قانونيا عن جرائمه التي كان يرتكبها في تجارة الرقيق الأبيض. وتذكر المؤلفة كاثي مجموعة من ممارسات شخصيات دينية كاثوليكية مثل الأب «جاي فاندرجاجت» و شخصيات الحكومة الأمريكية سواء ممن يشغلون مناصب صغيرة في عملهم الوظيفي أو منهم في مناصب رفيعة المستوى كقادة للولايات المتحدة، و تذكر من بينهم الرئيس الأسبق «جيرالد فورد» و بيل كلنتون و تشير إلى علاقة كل منهما بمثل هذه التجارب والمشروعات القذرة.

و بعد أن توضح المؤلفة كاثي مقدار الإنحدار الأخلاقي والإجتماعي الذي وصل إليه المجتمع الأمريكي، تواصل الحديث عن تجربتها داخل أروقة (وكالة المخابرات المركزية) ضمن مشروع «UK-ULTRA» أو «مونارك»؛ حيث تبين :

أولاً : طبيعة التجارب التي مُورست عليها للتحكم في عقلها وسلوكها ودفعها إلى القيام بأفعال لم تكن لتقوم بها وهي في كامل وعيها وتأباها الفطرة الإنسانية السليمة،

وثانيا : تبين الإستغلال غير الإنساني من جانب القائمين على تجارب المشروع للحالات التي تحت أيدي باحثي المخابرات، و تسخير الإنسان (فأر التجارب) للقيام بأعمال قذرة و لا أخلاقية لصالح كبار الشخصيات الحاكمة في الولايات المتحدة، وعلى رأسهم رؤساء سابقين للبلاد، و تذكر من بينهم «جيرالد فورد» كما سبق القول بجانب كل من «رونالد ريجان» و»بيل كلينتون» و»ريتشارد تشيني» نائب الرئيس الأمريكي. ومن أبرز الانتهاكات التي أوضحتها المؤلفة كاثي مما عانته و نفذ عليها من تجارب مؤلمة في أروقة وكالة المخابرات المركزية، هي تعرضها للصدمات الكهربائية، وممارسة الجنس بالقوة معها على الرغم من إرادتها، و عدم رغبتها في ذلك، و هذا ما تعرضت له هي و إبنتها و غيرها من الشخصيات التي تجرى التجارب عليها، حيث تمكن القائمون بالتجارب من زرع مجموعة من الإشارات في عقول من تُجرى عليه التجربة يتم بمقتضاها التعرض للأشخاص إما بمحو إرادتهم وإرغامهم على تنفيذ ما يُطلب منهم أيًا كان، أو بنسيان التجارب التي يخوضونها مع مسئولي الحكومة الفيدرالية الكبار، الذين كانوا يزورون مقر مشروع «UK-ULTRA» أو «مونارك» للتعرف على نتائج البحوث و التجارب الجارية ، و كان بعضهم يستغل منصبه و يختار ما يعجبه من نساء أو رجال (فئران التجارب) لكي يمارس الجنس معهم، أو يقوم باللواط بفأر التجارب، سواء أكان من الرجال أو النساء، و كان بعضهم مثليا أيضا. و هذا كان من ضمن سلوكهم الشاذ وغير الإنساني و اللاأخلاقي.

أما أبرز الموضوعات الخلافية المثيرة للتساؤل عن مدى تغلغل الإنحراف في المؤسسات السياسية والدينية والإجتماعية المفترض فيها إصلاح المجتمع وتقويم سلوكه داخل الولايات المتحدة، وهو ذلك المتعلق بممارسات الكنائس الأمريكية المختلفة ورجال الدين العاملين فيها و مع ذلك فقد شاركوا الحكومة الأمريكية في الكثير من إنحرافاتها وجرائمها وإنتهاكاتها لحقوق الإنسان، وتصوير هذه الممارسات جميعها (التعذيب و الإغتصاب و تعاطي المخدرات.. إلخ) على أنها جائزة طالما كان القصد منها خدمة الوطن الأمريكي، و زعموا أنها مقبولة في دين يسوع المسيح !.

وفي هذا السياق لم تفلت كنيسة في الولايات المتحدة من إتهامات الكاتبة «كاثي أوبراين» بدءا من الكنيسة الكاثوليكية ووصولاً إلى كنيسة «المورمون» أو كنيسة «القديسين العصريين» في الولايات المتحدة، لأنَّ رجال الدين في هذا الشأن قد تعاونوا مع كبار رجال الأمن أو رجال العسكرية والمخابرات في الولايات المتحدة لتنفيذ مجموعةٍ من المخططات لإستغلال فئران التجارب بعد ما جرى التحكم فيها عقليًا وسلوكيًا بكل خسة في مجالاتٍ عدة.

ومن أهم هذه المجالات العمل كمرتزقةٍ لحساب القوات المسلحة والمخابرات الأمريكية لتغطية مجموعة من عملياتها في الخارج وبخاصة في أمريكا اللاتينية.. بجانب مهام أخرى، كتهريب الأسلحة والكوكايين لإثارة إضطرابات مرغوب

فيها في بعض البلدان على النحو الذي جرى في السلفادور وجواتيمالا ونيكاراجوا، مع دعم أنظمة أو جماعات معارضة بحسب الحاجة و متطلبات السياسة الأمريكية.. حيث إنَّ هؤلاء المرتزقة يستخدمون غالبا لتغطية عملاء «وكالة المخابَرات المركزية» و»البنتاجون» العاملين في هذه البقاع و الدول التي تعتبرها المخابرات الفناء الخلفي للولايات المتحدة.

و جرى الإستخدام على نحو آخر كالحصول على أموال المخدرات والسلاح المهرب لتمويل مشروعات سرية لوزارة الدفاع و»وكالة المخابرات المركزية» بدون الحصول على موافقة «الكونجرس» و بلا أي رقابة منه، أو من أي جهة رسمية مسؤولة .

الإقامة في قاعدة عسكرية أمريكية

و في أثناء التجارب جعلوا كاثي تُقيم في قاعدة عسكرية بالقرب من ولاية أركانساس، تدعى قاعدة «تينكر» حيث تعرَّضت مع رفيق لها يُدعى «كوكس» إلى تجارب متنوعة، و علَّموها إكتساب خبراتٍ عديدة تحت قيادة رجل عسكري يدعى «جونستون» ، والذي غالبا ما كان يكلفها بمهام قذرة من نوع تهريب ونقل المخدرات من داخلَ الولايات المتحدة إلى خارجها. و حدث في مرة من المرات أن طلب اليها مع رفيق لها نقل شحنة من الكوكايين إلى ولاية أركانساس ، و في الولاية إلتقت الشخص المطلوب، و هو أحد المسئولين الكبار بالولاية ، فما كان منه إلاّ أن إستغلها جنسيا و مارس معها اللواط أيضا، و لم يكتف بذلك بل تعاطى بعضا من الكوكايين الذي أرسله له «جونستون» « كعربون للصداقة، وكان هذا المسئول هو «بيل كلينتون» حاكم الولاية، الذي فيما بعد أصبح رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية.

وتشرح كاثي بعضا مما تذكرته بعد شفائها من تجربتها هذه عن طبيعة الأوضاع في معسكر «تينكر» والتجاوزات التي كانت تتم بداخله كنموذجٍ للإنحرافات التي كانت تتم في المؤسسة العسكرَية والأمنية الأمريكية؛ حيث تقول في هذا الخصوص: إن التعذيبات المختلفة وبرمجة التحكم العقلي التي واجهتها في قاعدة «تينكر»، حيث تعرَّفت على بيل كلينتون قد هيأتني لهذه المهمات، و تقصد بها تهريب ونقل المخدرات والعديد من المهمات الأخرى، و تعلق بالقول أنَّ جرائم القتل الغامضة الخارجة على السيطرة التي كان يقوم بها «كوكس» رفيقي بالتجربة، قد سببت تشظي شخصيتي إلى شخصيات متناقضة تتصارع فيما بينها، و تؤثر بي بصورة سلبية مرعبة ، وبعد إنتقالها من معسكر «تينكر» وذهابها إلى ولاية «تينيسي»؛ حيث إلتقت «كاثي أوبراين» وإبنتها «كيلي» عميل المخابراتٍ «أليكس هوستون» ، الذي مارس معها مجموعة من الأساليب الجديدة للتحكم في العقل والإرادة؛ حيث جرت لها أولاً عملية برمجة على الجنس، ثم تمَّت بعد ذلك برمجتها للقيام بمجموعةٍ من العمليات الحكومية السوداء المصنفة في الميزانية الأمريكية تحت عبارة «نموذج رئاسي».

وكان ذلك يتم في المعسكرات أو في مقرات مدنية متعددة، كما في معسكر «رد ستون» و»سويس فيلا»؛ حيث كان يتم إحداث صدمات نفسية وعقلية عديدة لفئران التجارب تمهيدا لإرسالهم إلى ما يُسمَّى بـ»معسكرات العبيد»، ومن بين أهم الأساليب التي إتبعت في هذه التجارب «حفلات» الإغتصاب الجماعية والتعذيب الجماعي أيضا، و تجارب سُميت بـ»حملات صيد البشر» !.

وفي هذا الشأن تصف المؤلفة كاثي معسكر «سويس فيلا» على النحو التالي:

التجربة كانت على شكل لعبة بالغة الخطورة غالبا ما كانت تمارس في «سويس فيلا» بحضور عددٌ من الساسة وآخرين، حيث يُستخدم فيها عملاء «وكالة المخابرات المركزية» الملجأ أو المعسكر لممارسة «لعبة صيد البشر».

ولقد تمَّ «إصطيادنا» أنا وإبنتي كيلي في «سويس فيلا» وكانت التعذيبات والإغتصابات التي مُورست علينا بعد ذلك شاملة وصدمت عقولنا بشكلٍ كافٍ لضمان نجاح عملية البرمجة، زيادة على إحداث ذاكرة منشطرة مهيأة لقبول تجارب ذات مستوى عالٍ، و هذا بعض مما عرفناه و عانيناه خلف أسوار الفيلا المحروسة بقوة أمنية صارمة، ولقد تعلمتُ في تلك الفيلا «اللعبة الأكثر خطورةً» والتي تجرب على العبد و هو

فأر التجارب، و تطلب منه الهروب، لكي يلاحقه الصيادون و يحاولون صيده و إلقاء القبض عليه، فإن لم يتمكن الصيادون من الإمساك بالصيد ، فإنَّ الطائرات المروحية التي تحرس المنطقة سوف تقوم بملاحقته و الإمساك به، و هناك وسائل أخرى أشد قدرة على الإمساك بالصيد، و كشف موقعه أو موقعها، وعند إصطياده يُعاني ألم الموت جراء الفتك به مثلما يتعرض لذلك أي صيد مفترض.

وبعد أن تلقت «أوبراين» تدريبا كافيًا في معسكرات سرية مختلفة، و إكتسبت خبرات معينة، أمروها في القيام بمجموعة من العمليات القذرة وعلى النحو التالي:

- المشاركة في عمليات «سمسرة و دعارة «على سفن الرحلات.

- عمليات تهريب المخدرات من وإلى مناطق البحر الكاريبي وأمريكا اللاتينية ومناطق أخرى من العالم، بوساطة حقائب غير مشتبه فيها، أو عن طريق أجهزة كهربائية كانت تابعة لمصانع شركة لهوستون.

- تهريب الماس من الولايات المتحدة إلى كوبا وبنما والكاريبي.

وفي طور من أطوار التجربة الحية و المباشرة إلتقت المؤلفة كاثي الرئيس الأمريكي الأسبق «رونالد ريجان»، الذي تحدث إليها و أفهمها أن ما يتم في «وكالة المخابرات المركزية» من عمليات تهريب مخدرات وقتل، إنما يتم لأجل «المصلحة الوطنية العليا لأمريكا»، وكان هذا تعليقه أيضا على ما جرى أثناء التجارب مما قامت به أجهزة الأمن الأمريكية بتصوير عددٍ من الأفلام الجنسية لـ «كاثي أوبراين» و إبنتها أيضا. وتحدث ريجان مع كاثي مبينا لها أنَّ أنشطة الوكالة السرية وغير المشروعة، التي أجبرت على المشاركة فيها، إنما هي تجارب « مقبولة و مبررة»، وذكر لها أنَّ الولايات المتحدة موَّلت نشاطات سرية عديدة في أفغانستان ونيكاراجوا ومناطق عديدة أخرى في العالم، لكي يأخذ سرعته القصوى ما أسماه بـ»قطار الحرية الأمريكي»، و أكد لها ينبغي أن يتم تهريب السلاح، ونشر الجنس، و غير ذلك في بقاع عديدة من العالم، إذا كان ذلك ضروريا لتحقيق مصالح أمريكا.

وفي الأجزاء الباقية لهذا القسم الثاني من الكتاب تستعرض المؤلفة كاثي أوبراين مجموعتين رئيسيتين من الأفكار :

الأولى : عن فضائح رجال الحكم والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية .

والثانية : عن مجموعة الأنشطة السرية التي تقوم بها الإدارة الأمريكية بمساعدة ذراعها الإستخباراتي والعسكري كما في «وكالة المخابرات المركزية» و»البنتاجون».

وقد إمتدت مجموعة الأنشطة السرية هذه إلى مدى واسع للغاية من الكرة الأرضية، وشملت أقاليم مختلفة من العالم، من الصين شرقا وحتى أمريكا الجنوبية غربا، مرورا بالشرق الأوسط؛ حيث كان هناك مجال خصب لتلك الأنشطة فيما سُمي المستنقع اللبناني على وجه الخصوص .

و في الختام فإنَّ هذا الكتاب على الرغم مما جاء فيه من الأوصاف العديدة و التفاصيل التي ربما تكون محرجة على المستوى الأخلاقي؛ و كذلك ما حوى من شرح تفصيلي للعديد من مشاهد العنف القاسية والممارسات الإباحية و الشاذة ، إلاّ أن هذا الكتاب الوثائقي يعتبر على قدرٍ كبير من الأهمية، لأنه يقدم صورة واقعية و صادقة للولايات المتحدة، و حقيقة رجال الحكم والإدارة فيها ، ويبين الكيفية التي تدار بها الأمور في أكبر مؤسسات أمريكا السياسية كالبيت الأبيض» و «البنتاجون» و «وكالة المخابرات المركزية». و هكذا يدحض أية ادعاءات عن مزاعم الحرية والديمقراطية التي تتبجح الولايات المتحدة الأمريكية بالسعي إلى نشرها في العالم ، كما أن هذا الكتاب بيّن و أكد بصورة موثقة، الوسائل الإجرامية و القذرة التي تتبعها الإدارات الأمريكية المتعاقبة لتحقيق غاياتها في السيطرة على العالم و مقدراته، من دون أي حرج من إستخدام الوسائل القذرة مهما كانت .

و فيما تقدم عرض سريع هو غيض من فيض مما جاء في هذا الكتاب غير العادي، و قد صح وصفنا له، و صدق عنوان مقالنا هذا (كتاب الغيبوبة...الكتاب الأعجوبة).



قانون قيصر والزمن السوري - اللبناني الصعب

بقلم: الأستاذ يوسف الورداني
كاتب - لبنان



نشر جندي سوري منشق عن الجيش العربي السوري، يدعى قيصر، وثائق وصورا، تفضح إقدام النظام السوري على تعذيب وقتل السجناء في أقبية سجونه. فتلقفت الإدارة الأميركية هذه الوثائق، وبنت عليها «قانون قيصر»، بهدف فرض عقوبات إقتصادية على رأس النظام السوري وأعوانه، وسعت إلى إقراره في مجلسي الشيوخ والنواب، بعد موافقة الحزبين الجمهوري والديمقراطي، ثم أوعزت إلى وزيري الخارجية والخزانة لوضع نصوصه حيز التنفيذ في الخامس عشر من حزيران.

و من الجدير بالذكر أن قانون قيصر يحمل أهدافاً ثلاثة:

الأول: سياسي يهدف إلى منع حلفاء النظام السوري، الروسي والإيراني، من الإنفراد بصياغة مستقبل سورية السياسي، على أن يكون القول الفصل فيه أميركيا، بالإستناد إلى قرار مجلس الأمن الدولي المرقم ٢٢٥٤ القاضي بوقف الأعمال الحربية والدخول في العملية السياسية كما يهدف إلى وقف أي توجه خليجي باتجاه سورية.

الثاني: إقتصادي يهدف إلى ممارسة المزيد من الضغوط على إقتصاد سورية الذي يحتضر، ثم لمنع حلفاء النظام، دول ومجموعات وأفراد من الإستثمار في إعادة إعمار سورية.

الثالث: خلف الغبار الذي سيحدثه قانون

قيصر في المنطقة، تجري صفقات بعيدة عن الأضواء كإقدام الكيان الصهيوني على ضم أجزاء جديدة من الضفة الغربية، ودفع الفلسطينيين إلى النزوح باتجاه الأردن «ترنسفير جديد». يبقى الجانب السياسي من قانون قيصر عرضة للمساومة والمماطلة ومحاولات كسب الوقت، خاصة وأن الجانب الروسي وعلى لسان نائب وزير الدفاع الروسي أعرب عن إستعداد بلاده للتفاوض مع الإدارة الأميركية على مستقبل سورية السياسي، حيث للروس مآخذ عديدة على بشار الأسد وعدم جديته في الولوج إلى العملية السياسية بعد التوافق معه على مضمون القرار ٢٢٥٤، ومن جهة أخرى لا تمانع إيران من المشاركة في مثل هذه المفاوضات، إن استطاعت أن تكسب نقطة ترتبط بمفاوضات الملف النووي، المعطلة من جانب الطرف الأميركي.

لكن الجانب الإقتصادي من القرار، هو الأخطر، فهو بمثابة كارثة على إقتصاد سورية، زيادة على أن الدول الحليفة للنظام السوري لا تقوى على المساعدة، لأن كلاً من روسيا وإيران، تعانيان أوضاعاً إقتصادية حرجة، كما إنهما تطالبان النظام بتسديد ديونه المستحقة لهما.

و من الملاحظ أن معالجات النظام السوري للجانب الإقتصادي كانت و ما زالت فاشلة، إذ إنه إستند في ذلك إلى السوق اللبنانية، المنهارة أصلاً، في الوقت الذي تقف السلطة اللبنانية عاجزة عن إنقاذ لبنان و إقتصاده و غير قادرة على الإستجابة لمطالب صندوق النقد الدولي القاسية، و هي مطالب بإصلاحات جذرية في أكثر من مجال، كما أن المصرف المركزي في لبنان خال من النقد الأجنبي، والمصارف مقفلة بوجه المودعين، بعد أن نقلت أموالهم إلى الخارج، ومن بينهم المودعون السوريون، وزاد الطين بلة عمليات تهريب الدولار من لبنان إلى سورية و هذه الحالة الشاذة سببت هبوط الليرة اللبنانية على نحو غير مسبوق مقابل الدولار، و الشيء نفسه حدث في سورية حينما إنهار أيضا سعر صرف الليرة السورية مقابل الدولار، علماً بأن العلاقة وثيقة بين الليرتين و هذا ما يعرفه أي صراف في الدولتين.

و هذه المظاهر الحالية و غيرها تسمح في التكهن بأن وضع العملتين يعكس قدراً من التماثل بين حال النظامين ليدخلا معاً نفقاً مظلماً واحداً بغض النظر عن ظروف الأزمات التي يواجهها كل منهما، في ظل العوامل الخارجية المؤثرة بإدارة شؤونهما.

و من نتيجة هذا الترابط بين النظامين فإن تداعيات قانون قيصر ستكون وبالاً على لبنان و لو أن القانون يستهدف سورية أساسا، لأن قياصرة السلطة في لبنان يعيشون في كوكب آخر، فهم يتقاسمون المغانم والمناصب التي كان آخرها نواب حاكم مصرف لبنان، مما حمل السفيرة الأميركية ببيروت على زيارة قيصر بعبدا، للإحتجاج على هذه التعيينات معتبرة أنه بموجبها وضع حزب الله يده على القرار المالي و المصرفي اللبناني.

و لهذا ليس صعبا الإستنتاج بأن سهام قانون قيصر ستنال مقتلا من سورية ولبنان على حد سواء وذلك للأسباب التالية:

١-يعتبر النظام السوري أن لبنان يشكل ساحة خلفية له، مالية وإقتصادية، وعمليات تهريب المحروقات خير دليل.

٢-يتخذ الأميركيون من لبنان مساحة مفتوحة للصراع الأميركي-الإيراني مع وجود حزب الله.

٣-ان صندوق النقد الدولي يطالب لبنان بإصلاحات جذرية قبل الدخول في تفاصيل المساعدات مع أن الصندوق لمس عراقيل حزب الله في هذا الإطار.

أما وقد قدمت حكومة حسان دياب لنصر الله وباسيل ما كان يخططان له فقد بات عمر حكومته قصيرا ليقع لبنان كما في كل مرة أسير التعطيل في التأليف والتكليف لنعيش زمناً آخر من الفراغ القاتل.

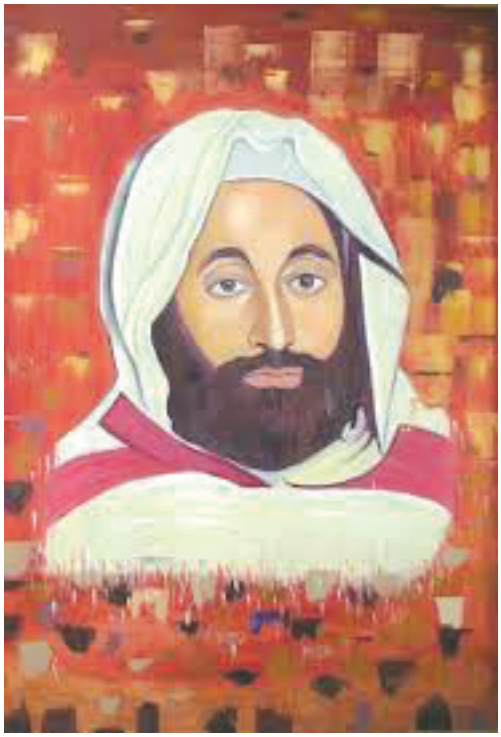


الإستراتيجية السّياسيّة للإمام عبد الحميد ابن باديس

كتابة : الاستاذة علجية عيش
باحثة جامعية من الجزائر

للمرة الثانية يغيب الإحتفال بذكرى وفاة العلامة الجزائري عبد الحميد ابن باديس، رائد النهضة الإسلامية والحركة الإصلاحية في الجزائر وفي الوطن العربي ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الأولى كانت بسبب الحراك الشعبي الذي انطلق في ٢٢ فبراير ٢٠١٩ التي أرادها جزائريون أن تكون باديسية لا باريسية وهذا العام بعد فرض الحجر الصحي إثر ظهور فيروس كورونا كوفيد ١٩، وكما هو معلوم فقد حفلت مسيرة العلامة الإمام عبد الحميد ابن باديس بالمشاهد والتحديات الفكرية والتاريخية في الدفاع عن الهوية الإسلامية والعروبة، فكانت حياته كلها مواقف، جعلته موضع انتقادات وهجوم من أعداء حاولوا الطعن في منهجه الإصلاحي، على الرغم من أن منهجه كان منهجا حاملا للقرآن وهدفه الإنسان.

و لعل إحياء ذكرى وفاة العلامة عبد الحميد ابن باديس المصادفة للسادس عشر (نيسان) من كل سنة فرصة للعودة إلى مساراته الإصلاحية وتمسكه بالثوابت من أجل الحفاظ على الهوية وبناء مجتمع واع، لاسيما وهو القائل أن الأمة الجزائرية ليستً فرنسا ولن تكون كذلك، فقد كان رهان ابن باديس هو بناء دولة ترتكز في الرقي العلمي والثقافي والتاريخي للبلاد، باعتبار أن التاريخ واحد من المرجعيات التي تبنى بها الهوية الوطنية، فإن مسيرة الإمام عبد الحميد بن باديس تميزت من تصحيح العقائد ألإسلامية التي تسربت إليها البدع والخرافات من جراء بعض الممارسات، وكذا الصراعات السياسية حيث كانت الساحة الجزائرية تحت وطأة أبشع



نظام إستعماري عرفته البشرية أستهدفت فيه العقائد، فما كان على إبن باديس إلاّ أن يقف في وجه الفرنسة والتغريب، حيث أسهم في إثراء اللغة العربية وأصول الحكم و غير ذلك، فكانت نصوصه وكتاباته لا تخلو من السياسة وهو يُعَبِّرُ عن مفهوم الوطنية والهوية بتعبير حديث، أما على الصعيد الفكري الفلسفي، فقد كان لإبن باديس ثقافة فلسفية دينية، قريبة إلى حدٍ ما من فلسفة الإمام محمد عبده، فكانت له إضافات في هذا الجانب.

وتشير بعض الدراسات إلى أن إبن باديس قد

تأثر ببعض العلماء حين إلتقاهم بجامع الزيتونة مثل أستاذه الشيخ محمد البشير صفر، الذي كان له الفضل في إطلاع إبن باديس على أمته ووطنه وبث فيه الروح التي جعلت منه عالما مصلحا، كما تأثر إبن باديس بالفكر الخلدوني، حيث حرص حرصا شديدا على دراسة مقدمة إبن خلدون الشهيرة وتدريسها لتلامذته بعد كل صلاة فجر، كذلك الشيخ محمد النخلي المتوفي عام ١٨٢٤، وكان هذا الشيخ قد وجّه إبن باديس إلى التركيز في التاريخ الأصولي في الأندلس، وكتابات إبن عربي، ومن هذا المنطلق عكف إبن باديس على دراسة كتاب «العواصم والقواسم»، الذي إلفه إبن عربي، وتكفل بنشره عام ١٩٢٨ على نفقته، بالمطبعة الإسلامية بقسنطينة وهو يقع في جزئين، والذي كما يقال أقام إمبراطوريات وأسقط أخرى و هذا الكتاب واحد من مخطوطات إبن عربي، ولعل تحقيقاته لهذه المخطوطة إحدى الدلائل التي تجعل من إبن باديس محققا ومدققا، حينما عكف على دراسة حقبة النبوة وما بعد النبوة، وتحليله مجتمع الخلافة الراشدة، بعدما رأى أن التصورات المذهبية والسياسية مسّت التاريخ الإسلامي في محطاته الواسعة، وبالخصوص الحقبتين الأموية والأندلسية، وما شهدته من صراعات سياسية و شعوبية معادية للأمة العربية.

و قد تحدث الباحثون عن هذه المخطوطة لاسيما الدكتور الطاهر بونابي المختص في التاريخ الوسيط من جامعة المسيلة، تحدث عن المشروع النهضوي عند إبن باديس وقال: أن الوعي التاريخي هو حالة الشعور بالذات والهوية في إطار ما سمّاه إبن باديس بالإسلام الذاتي، الذي هو حالة من التحقيق والنقد في مناهج العلوم، مشيرا إلى أن إبن باديس لم يستمد وعيه التاريخي من الفلسفات النظرية، وإنما هناك دوافع جعلته يقف على التاريخ العربي الإسلامي في القرن السادس هجري أي العاشر للميلاد وأسمّاه د.الطاهر بإنسان ما بعد الموحدين،

هذا و قد لعبت المدرسة الباديسية دورا هاما في تربية النشء وبرز منها كتاب ومؤرخون وأدباء وفلاسفة وأصبحت شهرتها إلى جانب المدرسة العبدوية (نسبة إلى محمد عبده) عالمية في الشرق والغرب، وهناك من حمل رايته بعد وفاته، ومنهم المؤرخ الجزائري امبارك الميلي، ونجله محمد الميلي، و الفقيه الشيخ أحمد حماني، وأحمد رمضان، وعبد الرحمان شيبان وغيرهم، وكما قال د. عبد الرزاق قسوم الرئيس الحالي لجمعية العلماء المسلمين الجزائيين، فالجزائر اليوم بحاجة ماسّة إلى المنهج الباديسي، للقضاء على ظواهر التفكك الإجتماعي والسياسي والثقافي، وإعادة تصحيح المفاهيم الحضارية وتأصيل معانيها خاصة في هذا الظرف بالذات حيث أضحت تعاني شتى أنواع الإضطرابات.

التجربة الباديسية في الدفاع عن الهوية الوطن

لقد كان الإمام عبد الحميد بن باديس في دروسه يدعو طلبته إلى الإلمام بالماضي وقراءة التاريخ، والدفاع عن الهوية الوطنية وكان في كل حلقاته ودروسه يردد على مسامعهم بأنه وجب معرفة التاريخ، ويؤكد لهم أن من عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة به في هذا الوجود، السؤال الذي وجب أن يطرح اليوم هو كالتالي: كيف يمكن لهذا الجيل أن يستفيد من تراث إبن باديس؟، و مما لا شك فيه أن الرد سيكون بتنزيل تراثه على الواقع حتى لا يبقى مجرد فكرة، بل وجب تحويله إلى ممارسة يومية بمعالجة القضايا الحسّاسة التي آمن بها الجيل الحالي الذي خرج في مسيرات شعبية لأكثر من سنة وقال : «نريدها جزائر باديسية لا باريسية» و طالب بالتغيير الجذري في مختلف مجالات الحياة لاسيما الجانب الإجتماعي والثقافي، ومحاربة «التغريب» و»الفرنسة» التي تحاول أطراف تكريسها في الثقافة الجزائرية الأصيلة، وهو بذلك أراد التعبير بأن جيل اليوم جيل واع بل أصبح أكثر وعيا، ويريد السير في منهج الإمام إبن باديس، بالمحافظة على الأصول والإنفتاح على العصر المعروف بالأصالة والتفتح والدفاع عن «الهوية» الوطنية من دين ولغة وإنتماء حضاري،



وكما يقول الدكتور مصطفى باجو من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة : إن إبن باديس لم يغفل ما أبدعه العصر من وسائل التأثير وتشكيل الرأي العام والتأثير على مجريات الأحداث فتوجّه للصحافة وأنشأ الجرائد لمتابعة الأحداث ومعالجة الأدواء وتبصير الناس بحقيقة الإستعمار الذي أراد أن تكون الجزائر فرنسية. وهو يرافع و يدافع لصالح الهوية الوطنية، و من أقوال الإمام عبد الحميد ابن باديس: « إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم من الشدّة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السرّاء والضرّاء حتى كوّنت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا، أمّه الجزائر وأبوه الإسلام»، في هذه العبارة الذهبية المقدسة يتجلّى أثر التربية الإسلامية في صناعة الضمير الجزائري الحرّ، القائم على الوئام والمصالحة والتسامح مع الناس مهما إختلفوا، فقد بيّن إبن باديس أن الهوية الوطنية تتشابك فيها خيوط العروبة والأمازيغية ويستظل الجميع تحت راية الإسلام التي وحّدت الصفوف وصهرت القلوب عبر التاريخ، وهي لا شك تجربة شاملة ورائدة تؤكد عظمة الشعب الجزائري، الذي يواجه اليوم مخططات ذكية لطمس معالم الشخصية الجزائرية والسعي للهيمنة الفكرية عليها تحت ستار العولمة الثقافية في إطار صراع الأقوياء، لإحتلال مواقع النفوذ في عالم الفكر والثقافة والإقتصاد، هذه الظروف دفعت بجيل العصرنة الخروج إلى الشوارع في مسيرات شعبية عرفت بثورة ٢٢ فبراير، للتصدي لكل ماهو تغريبي على الرغم من تطور التقنيات وتنوع الإمكانيات ودخول عصر الإنترنت الذي جعل العالم كله قرية صغيرة.

و للعلم إن فرنسا قد وظفت جمعية الآباء البيض ضد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

فمن يقرأ فكر ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يقف على حقيقة أنه داع

للقومية الإسلامية مرتكزا في ذلك على التربية الإسلامية والثقافة الإسلامية وليس على وحدة الأصول «العرقية»، وقد ذهب بعض الباحثين في هذا الإتجاه ومنهم الدكتور أحمد بن نعمان الذي عالج في بحوثه القومية عند إبن باديس ومنهجه في تشخيص الواقع العربي والإسلامي، واقع تعددت فيه الإتجاهات فمنهم من قال إن التراث الثقافي والإجتماعي المشترك هو أساس التجنس في الوطن العربي، وأعطوا ضمنيا فكرة العِرْق أهمية بالغة ومنهم الأمير مصطفى الشهابي الذي يفضل الدم العربي على باقي الأقوام، فيما عبّر معارضون عن رفضهم فكرة وحدة العرق في تكوين المجتمع القومي من أساسها، ولذا عمل إبن باديس على إبعاد العامل العرقي في تكوين الأمّة المبنى أساسا على وحدة الدين ووحدة اللغة وآدابها، فعلى الرغم من أنه أمازيغي فقد كرّس إبن باديس الصنهاجي حياته مدافعا عن اللغة العربية والعروبة ، و هو بهذا قد إختلف عن أصحاب الإتجاه الأممي الذي يعتمد على الدين وحده ويسقط العوامل الأخرى كاللغة والثقافة والتاريخ، ومختلفا كذلك عن الإتجاه العلماني الذي ينفي عامل الدين في القومية وخاصة أصحاب الإتجاهات الطائفية.

لقد كانت الحرب الباديسية حرب أفكار وقيم، فقد قدم إبن باديس ورفاقه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صورا زاهية تنطلق من التذكير بحقب من الماضي التاريخي الزاهر وتغذية الآمال بمستقبل يتحررون منه من الإستعمار، و لم تكن الحرب بين الجزائر وفرنسا حربا عسكرية وإقتصادية فقط، بل كانت حربا دينية بكل المقاييس، لكنها كانت حربا غير متكافئة، لأن ميزان القوى فيها راجح لفائدة علماء الإصلاح في الجزائر والوطن العربي، الذين قطعوا أنفاس الإستعماريين، و لهذا جرت ملاحقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتصدي لها ومحاربتها منذ تأسيسها في أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩٣١)، ومحاصرتها إعلاميا بوساطة توقيف صحفها من قبل الإدارة الفرنسية كما حصل لصحيفة المنتقد الأسبوعية التي أسسها الشيخ إبن باديس عام ١٩٢٤ بسبب موقفها المؤيد لحرب الريف والزعيم عبد الكريم الخطابي، وكذلك إغلاق غيرها من الصحف الوطنية، وتؤكد الكتابات التاريخية أن الإمام عبد الحميد ابن باديس ركز جهوده في مواجهة الإحتلال الفرنسي على منطقتين هما: الأوراس من جهة وبلاد القبائل من جهة أخرى، وهذا ما جعله يفكر منذ ١٩٢٤ في تأسيس حركة يكون مقرها مدينة قسنطينة.

وكانت أولى حربه التصدي لجمعية الآباء البيض التي سعى الإستعمار إلى توظيفها، كذلك جمعية الأخوات البيض للتبشير بالمسيحية في بلاد القبائل في الوقت الذي حرك فيه الإستعمار الزوايا الدينية للأوراس لإخضاع السكان والتسليم بالأمر الواقع على أن الإستعمار قضاء وقدر، فكان إبن باديس في مواجهات عنيفة مع الزوايا والطرقيين، وقد تمكن من السيطرة على الوضع في بلاد القبائل، لأن الزوايا كانت مرتبطة بالسكان ولم تكن متحالفة مع الإستعمار، ومن ثم أدت خدمة كبيرة للغة العربية ونشط ابناؤها في خدمة حركة الإصلاح الديني سواء أكانوا من الجيل القديم مثل الشيخ ابو يعلى الزواوي، أم من الجيل الذي جاء بعده مثل الشيخ سعيد صالحي، والشيخ سعيد البيباني، وهذا بالإعتماد على التراث الذي خلفه كل من الشيخ الحداد والمقراني وفاطمة نسومر، أما في الأوراس فقد لعبت الزاوية الدردورية دورا في التصدي لمخططات الإستعمار، فعلى الرغم من أن دستور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين غير سياسي، إلا أنه كان لها دور سياسي، فكانت حركة سياسية وطنية في كل تجلياتها ومعانيها، يقول المؤرخ شارل روبير أجرون: إن حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إتخذت مواقف سياسية تتعارض بصورة مطلقة مع النفوذ الفرنسي، فقد حاربت التفرنس عن طريق تطوير صحافة عربية»، وكانت هذه الإستراتيجية السياسية التي رسمها إبن باديس ضمن خطته الإصلاحية الشاملة لبعث الوعي في النفوس و توعية الأفكار.



معالجة السلطات العثمانية الأزمة الإقتصادية في لبنان وسورية في الحرب العالمية

بقلم: الأستاذ الدكتور علي معطي
مؤرخ من لبنان

١-أسباب الأزمة الإقتصادية:

بعد إعلان الحرب العالمية الأولى بأشهر قليلة، أساطيل الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) ضربت حصاراً على موانىء سوريا ولبنان. فكان الأسطول الفرنسي يقوم بمراقبة السواحل السورية واللبنانية، بمساعدة الطراد الروسي «اسكولا» الذي في ١٧ كانون الأول عام ١٩١٤ أطلق قنابله على باخرتين صغيرتين كانتا متوقفتين في مرفأ بيروت، فأحدث ذلك ذعراً بين سكان المدينة الذين اضطروا لمغادرتها إلى الداخل[١]. وفي ٢٤ نيسان عام ١٩١٥ أقدمت قوات الأسطول الفرنسي على قصف مستودعات البترول في جونية وأنفة وشكا[٢].

ولم يكتفِ الحلفاء بمنع وصول البواخر الحربية والتجارية إلى موانىء بلاد الشام، بل منعوا أيضاً وصول البواخر التي كانت تحمل المساعدات من الخارج إلى سكان تلك البلاد، فبريطانيا التي كانت تحتل مصر في تلك الحقبة، منعت سلطاتها باخرتين من متابعة سفرهما إلى بيروت، واحتجزتهما في ميناء الإسكندرية. و كانت الباخرتان مشحونتين بالمواد الغذائية والملابس، و هما مرسلتان من المهاجرين اللبنانيين والسوريين في أميركا إلى الفقراء في لبنان وسوريا، ولم ينفع تدخل الحكومة العثمانية في الأمر و التي إتصلت بالسفير الأميركي في اسطنبول ليتدخل ويفك أسر الباخرتين[٣]. و السلطات البريطانية في مصر منعت الجاليتين اللبنانية والسورية ، من



إرسال المساعدات التي جمعتهما إلى أبناء وطنهما ببيروت وبدمشق[٤]. وعندما إستنجد الأمير شكيب إرسلان بقداسة البابا لإغاثة أهالي سوريا ولبنان، كتب الحبر الأعظم ما يلي:

(إن الحبر الأعظم لم ينس ولن ينسى مسيحيي سوريا، وإنه قد سعى مراراً لإغاثتهم، وبأخذ الرخصة من الحلفاء لأجل إرسال الأرزاق التي تخفف من أزمتهم، ولكن إنكلترا حالت و إجراء رغبته هذه. ولذلك قلب قداسته مجروح من عمل إنكلترا هذا، وسيعلم المسيحيون في الشرق فيما بعد أن الحبر الأعظم لم يهملهم) [٥].

٢-السلطات العثمانية تساعد الأهالي:

ومع إستنجاد الأمير، طلب وزير الحربية العثماني أنور باشا من السفير البابوي في إسطنبول، أن يقوم البابا بمساعيه الحميدة لإيصال المواد الغذائية إلى سكان بلاد الشام، وأن الحكومة التركية تتعهد بدفع ثمنها وتترك



أمر توزيعها إلى الرؤساء الروحيين في تلك البلاد، لكن جهود البابا والوزير باءت بالفشل.

أما في داخل سوريا ولبنان، ففي الحرب شكلت السلطات العثمانية لجاناً مؤقتة، كانت مهمتها تنظيم عملية البيع والشراء، وتوزيع المواد الغذائية على جميع السكان بشكل عام، وعلى الفقراء والمحتاجين بشكل خاص[٦]. كما وزعت هذه السلطات على الهيئات الدينية والمستشفيات الحكومية والخاصة، كميات من المواد الغذائية، تكفي لسنة كاملة، على أن تدفع هذه الهيئات نصف ثمنها حسب السعر الذي يدفعه الجيش وتقدم النصف الآخر مجاناً[٧].

وكذلك منحت المؤسسات المارونية، الخيرية منها والإجتماعية، ثلاثمائة ألف كيلو من الحبوب بدون مقابل، وقد تسلمت البطريركية المارونية هذه الكمية في تموز عام ١٩١٧[٨]. وفي تلك الحقبة أيضاً، أنشأ المتصرف علي منيف شركة بإسم «شركة القمح»، وعين على إدارتها الطبيب نجيب أصفر، وجعل مركزها في بعبدا بالقرب من سراي الحكومة، وأنشأ لها مستودعات في معظم أحياء الجبل، كان أهمها وأكبرها مستودع عالية ومستودع الحدث لوقوعهما على خط القطار الحديدي بين بيروت ودمشق. وكانت وظيفة هذه الشركة بيع القمح للأهالي في لبنان بأسعار زهيدة لا تتعدى الستة قروش للكيلو الواحد، وتقديم كيلو واحد مجاناً لكل عائلة مؤلفة من خمسة أشخاص[٩].

٣-السلطات العثمانية تفتح ملاجىء ومشاغل:

وإلى جانب هذه المساعدات والخدمات، فإن السلطات العثمانية قد فتحت في بيروت أربعة ملاجىء لإيواء الأطفال المشردين في الشوارع، وحولت مدرسة الآباء العازاريين في عينطورة ودير الآباء اليسوعيين في غزير، ودير مار انطونيوس، وخشبو غزير، إلى ملاجىء لأولاد اللبنانيين الفقراء، وسلمت إدارتها إلى القيمين عليها من رجال دين واساتذة[١٠]. وفي هذه الملاجىء كانت السلطات العثمانية تجمع الأولاد الجائعين

من الطرقات أو من بيوت الفقراء، وتقدم لهم الطعام، وتهتم بنظافتهم وصحتهم، وتعالج المرضى، وتعلم القراءة والكتابة للأميين منهم.

ومع هذه الملاجىء فتحت السلطات العثمانية مشغلين في بيروت لتعليم النساء والفتيات مختلف الأشغال اليدوية، مع تأمين الطعام لهن وتقديم مساعدات عينية ورواتب لمن تتقن العمل منهن. وكان أحدهما في محلة برج أبي حيدر في المبنى الذي كان تابعاً قبل الحرب للمدرسة العثمانية، والذي خصصت كل غرفة فيه لنوع من أنواع العمل فهذه للخياطة، وأخرى للتطريز، وثالثة لحياكة الصوف، ورابعة لحياكة السجاد، وخامسة للرسم والتحضير..... وهكذا.

وهذا المشغل ضمّ أكثر من الف إمرأة وفتاة، و كان يشرف عليه معلمون ومعلمات من ذوي الخبرة والمهارة[١١]. وفي آذار عام ١٩١٦، أنشأ والي بيروت عزمي بك «مؤسسة الأعمال اليدوية»، التي كانت تحوي حوالي اثنتي عشرة آلة تدار بوساطة اليد، وذلك لتأمين العمل لعدد كبير من الرجال والنساء[١٢]. كما أسس هذا الوالي في ٢٣تموز ١٩١٧ ناد للفتيات المسلمات، كان مركزه في منزل بشارة الخوري، خلف مدرسة البطريركية في بيروت، وعين له معلمة للغة العربية لمن ترغب التعلم من الأعضاء، وأخرى للفرنسية، وثالثة لتعليم العزف على البيانو. وبعد مدة وجيزة ألحق بالنادي مدرسة لتعليم أولاد اللبنانيين من الجنسين، الذين تأثروا بمصائب الحرب ونتائجها. كان يشرف على إدارتها محمد عمر منيمنة، ويتولى التعليم فيها مدرسات لقاء رواتب لهن، أما بعض أعضاء النادي فكن يشرفن على العمل يومياً، ويحضرن وجبة الغذاء لجميع الطلاب والطالبات[١٣].

هذا ما فعله الأتراك في بلادنا في الحرب، وما قدموه من مساعدات للأهالي، مع أن الحرب كانت على أشدها، وأن الدولة العثمانية على شفير الإنهيار والتفكك. فأروني أيها الناس، ماذا فعل الفرنسيون والإنكليز في بلادنا، بعد أن انتهت الحرب وانتصروا. لقد احتلوا هذه البلاد وقسموها إلى مناطق نفوذ، ونهبوا خيراتها، وأذلوا الناس فيها، وهجروا الأشراف من زعمائها، وشردوا شعب فلسطين في الافاق وأسكنوا شذاذ الآفاق من اليهود في بيوتهم ومدنهم وقراهم. ثم أروني ماذا فعل حكام سوريا ولبنان منذ عام ١٩٤٣ حتى الآن. لقد أدت سياستهم في لبنان إلى قيام الثورات والحروب بين طوائفه وأحزابه، وإلى إفقار شعبه وسرقة أمواله، كما أدت سياسة حكام سوريا إلى تدمير البلاد وتشريد الشعب وقتل الأطفال والشيوخ.

[١] فؤاد غصن: مذكراتي خلال قرن، ص٥١.

[٢] الأب إبراهيم حرفوش: دلائل العناية الصمدانية، ص٥٣٧.

[٣] المقطم: عدد ٨٢٧١، ٣١أيار ١٩١٦، مساعدة السوريين في أميركا لذويهم في لبنان وسوريا.

[٤] المقطم، عدد ٨٢٧٨، ٩حزيران ١٩١٦، بيان السكرتير العام للجنة التي تشكلت في مصر من السوريين لمساعدة أقاربهم في سوريا ولبنان.

[٥] شكيب أرسلان: سيرة ذاتية، ص٢٣٤-٢٣٥.

[٦] لحد خاطر: عهد المتصرفين في لبنان، ص٢٠٣.

٧] عزيز بك: سوريا ولبنان في الحرب العالمية، ص٦١-٦٢.

[٨] الأب حرفوش، ص٥٦٦.

[٩] الأب حرفوش، ص٥٦٦، وأيضاً فؤاد غصن مذكراتي خلال قرن، ص٨٥.

[١٠] الأب حرفوش، ص٥٥٩.

[١١] عنبرة سلام الخالدي: جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، ص١٠٧-١١٢.

[١٢] Antoine Yammine: Quarter oms de miser. P٣٨-٤٠

[١٣] عنبرة سلام الخالدي، ص١١٣-١١٥.

من روائع الشعر العربي



أنادي الرسم لو ملك الجوابا

الشاعر : أحمد شوقي

أُنادي الرَسمَ لَو مَلَكَ الجَوابا
وَأَجزيهِ بِدَمعِيَ لَو أَثابا
وَقَلَّ لِحَقِّهِ العَبَراتُ تَجري
وَإِن كانَت سَوادَ القَلبِ ذابا
سَبَقنَ مُقَبِّلاتِ التُربِ عَنّي
وَأَدَّينَ التَحِيَّةَ وَالخِطابا
فَنَثري الدَمعَ في الدِمَنِ البَوالي
كَنَظمي في كَواعِبِها الشَبابا
وَقَفتُ بِها كَما شاءَت وَشاؤوا
وُقوفاً عَلَّمَ الصَبرَ الذِهابا
لَها حَقٌّ وَلِلأَحبابِ حَقٌّ
رَشَفتُ وِصالَهُم فيها حَبابا
وَمَن شَكَرَ المَناجِمَ مُحسِناتٍ
إِذا التِبرُ اِنجَلى شَكَرَ التُرابا
وَبَينَ جَوانِحي وافٍ أُلوفٌ
إِذا لَمَحَ الدِيارَ مَضى وَثابا
رَأى مَيلَ الزَمانِ بِها فَكانَت
عَلى الأَيّامِ صُحبَتُهُ عِتابا
وَداعاً أَرضَ أَندَلُسٍ وَهَذا
ثَنائي إِن رَضيتِ بِهِ ثَوابا
وَما أَثنَيتُ إِلّا بَعدَ عِلمٍ
وَكَم مِن جاهِلٍ أَثنى فَعابا
تَخِذتُكِ مَوئِلاً فَحَلَلتُ أَندى
ذُرا مِن وائِلٍ وَأَعَزَّ غابا
مُغَرِّبُ آدَمٍ مِن دارِ عَدنٍ
قَضاها في حِماكِ لِيَ اِغتِرابا
شَكَرتُ الفُلكَ يَومَ حَوَيتِ رَحلي
فَيا لِمُفارِقٍ شَكَرَ الغُرابا
فَأَنتِ أَرَحتِني مِن كُلِّ أَنفٍ
كَأَنفِ المَيتِ في النَزعِ اِنتِصابا
وَمَنظَرِ كُلِّ خَوّانٍ يَراني
بِوَجهٍ كَالبَغِيِّ رَمى النِقابا

وَلَيسَ بِعامِرٍ بُنيانُ قَومٍ
إِذا أَخلاقُهُم كانَت خَرابا
أَحَقٌّ كُنتِ لِلزَهراءِ ساحاً
وَكُنتِ لِساكِنِ الزاهي رِحابا
وَلَم تَكُ جَورُ أَبهى مِنكِ وِرداً
وَلَم تَكُ بابِلٌ أَشهى شَرابا
وَأَنَّ المَجدَ في الدُنيا رَحيقٌ
إِذا طالَ الزَمانُ عَلَيهِ طابا
أُولَئِكَ أُمَّةٌ ضَرَبوا المَعالي
بِمَشرِقِها وَمَغرِبِها قِبابا
جَرى كَدَراً لَهُم صَفوُ اللَيالي
وَغايَةَ كُلِّ صَفوٍ أَن يُشابا
مَشَيِّبَةُ القُرونِ أُديلَ مِنها
أَلَم تَرَ قَرنَها في الجَوِّ شابا
مُعَلَّقَةٌ تَنَظَّرُ صَولَجاناً
يَخُرُّ عَنِ السَماءِ بِها لِعابا
تُعَدُّ بِها عَلى الأُمَمِ اللَيالي
وَما تَدري السِنينَ وَلا الحِسابا
وَيا وَطَني لَقَيتُكَ بَعدَ يَأسٍ
كَأَنّيَ قَد لَقيتُ بِكَ الشَبابا
وَكُلُّ مُسافِرٍ سَيَئوبُ يَوماً
إِذا رُزِقَ السَلامَةَ وَالإِيابا



وجدانيـــات

بقلم: د. اسماء القادري

بسم الله الرحمن الرحيم

يحترق الوطن من تحت أرجلكم وأنتم الحفاة..على جمر غضبكم تمضي آخر أنفاسه وما زالت أقدامكم تدهس فوقه لتخنقه.. لا تدري أتقذف بيديك حمماً من قهر، أم أنك تدنس الوطن بمزيد من البطش والتدمير.. بشهيق الوجع يبتلع آخر أنفاسه ومشهد التكسير واللامبالاة تزيد عذابه.

إنه الوطن يا من تزعم أنك لبناني الهوية ونحن الضحايا فيه ونحن الجناة..كيف لوطن أن يجمع في طياته بين الحاقد والفاسد والعاشق لتراب وطنه والباحث عن لقمة عيش ولو في جحر الفئران.. كيف لك يا وطني أن تلد الكثير والقليل من يبحث عن هواء يوقف اختناقك.. مرايا الموت في كل الشوارع وإن تنفّست في عروقنا الحياة.. فأي حياة لمن تمزّق وطنه بأنيابه؟ وأي حياة لمن احترق في أسواق المساومة على التنازل عن حقه في الحياة؟ وأي حياة لمن باع جوعاً وطنه ليحيا لبعض لحظات بعده بحفنة من المال، وتجرّع بيده الآثمة لقيمات الخيانة لأهله ووطنه؟

تتناثر في أسماعنا كلمات النشيد الوطني الذي ربما حفظناه لكثرة ترديده في فسحة الصباح المدرسي، أم أننا كنا نتمتم فقط ببعض الكلمات ولم تعلق في أذهاننا حتى ترانيم هذا النشيد، لنطرده اليوم فلم يعد يعنينا، فأيام الدراسة قد ولت وولى معها الإصطفاف الصباحي الإلزامي. وربما لم يكن لنا الوطن إلاّ بقعة جغرافية ننتظر بين الفينة والأخرى أن توفر لنا و لبعض الأقارب قبراً ، أو مأوى حتى نجد فضاء آخر..فلنردد مجدداً بعض كلمات النشيد الوطني التي حفظتها الذاكرة بأحرف جديدة، فنعترف مرغمين بأن الكلمات لا تموت في الذاكرة، وبأننا وحدنا من يموت حين يموت الانتماء في صدورنا فتشيّعنا الأوطان بالرثاء..

أقدام مترنّحة تقذف بغضب على أبواب الوطن فالتكسير للغير هواية يبرع فيها من يندس وهوايته التخريب والتدمير.. لعبة التظاهر بالهيمنة والقوة الفجة، فصاروا يتنافسون فيما بينهم على قذارة الأوسمة والتكسير.. يلوّحون بعصا البطش حتى يعلم الجميع أن ما يمنحونه للوطن هو الموت والجوع وفتات الكرامة..هذا هو لبنان اليوم..يسلبونه الحلم بالعودة من سرير الموت.. يمزّقون خريطته.. ينتزعون أنفاسه الأخيرة من صدره، و لهؤلاء لن تكون حصة سوى كلمة سوداء في ذاكرة التاريخ. أتراكم طاف بكم الفساد ولم يعد يكفيكم ما أشبعتم به بطونكم ليوم القيامة فأنكرتم خبزه وماءه، وصرتم جزءاً من المؤامرة لدفنه، وارتديتم طائعين أقنعة الوجوه الغادرة..لم تقلع طائراتكم بعد إلى بلدان اتخذتموها أوطاناً بديلة حتى تشهدون لحظات تسليم الروح لوطنكم كأبناء بارين يشمرون عن سواعدهم للتجهيز لدفن أباهم وهو على قيد الحياة..رفقاً بهذا الوطن أيها الساسة إن كان لم يعد ينفعكم بمردود مادي أو معنوي وخيراته باتت في أحشاء الآخرين اتركونا ننعم بسلام بتوديعه بشكل لائق..ببكاء ورثاء يليق بنا أن نودع وطننا فاتركوا لنا هذه اللحظات فلربما أحيته دمعة صادقة من ولد بار بعيداً عن الرياء والفساد.. الثائر لحياة الوطن يحق له وحده أن يصف الحرّية، و يملك وحده أن يعيد للوطن الحياة.. فالوطن تحييه دموع الفقراء.. أجل سيبكي الفقراء ووحدهم و بين فكّي الموت يصرخون.. يستنجدون وطناً ويسألون الله أن يعيد له الحياة ويرجع سويسرا الشرق كما سمعنا بهذا اللقب ولم نتذوق معناه.. فليحيا لبنان بالحرية والأمل.



الكورونا ...نتائج و مظاهر أخرى

كتابة : د.ضرغام الدباغ
باحث في المركز العربي بألمانيا

أوربا لم تعش منذ زمن بعيد وضعاً كهذا الذي تعيشه اليوم في ظل وباء كورونا وفيروسه القاتل، فأزمنة الأوبئة كالطاعون و الكوليرا والسل، أصبحت عصورا غابرة، بالنسبة للأوربيين ، و يتذكرونها و يحكون عنها كأنها أساطير، أو ربما تشابه ظروف الحرب العالمية الثانية، حين كانت الهجمات الجوية تسقط القنابل كالمطر، فتبيد مدناً كاملة، وتحدث مجازر جماعية، و أثناء تلك الهجمات الجوية، كانت مئات من القنابل لا تنفجر(لأسباب فنية مختلفة)، وبالتالي كان يتعين على رجال الدفاع المدني التفتيش عنها وإبطال مفعولها، وإبعادها عن السكان المدنيين، وحالات عدم إنفجار القنابل كانت كثيرة جداً، بحيث أن السلطات الألمانية على سبيل المثال ما تزال تبحث عنها ليومنا هذا، حتى بعد مرور ٧٥ عاماً على نهاية الحرب، فما زالت القنابل غير المنفجرة توقع الخسائر بالأشخاص و الممتلكات من وقت لآخر، و لهذا السبب البحث مستمر عنها في أقطار أوروبا المختلفة.

و من الملاحظ أن الأوروبيين لا يريدون العودة إلى عهود السيطرة والتفتيش والتدقيق ..ومنع التجول ..الخ، وسياسياً شهدت ألمانيا وأوروبا، تراجعاً لليمين المتطرف، والسبب في ذلك هو شعور الناس أنهم جميعاً مستهدفون من عدو أسمه كورونا، فظهر تضامن إنساني تجاوز المشاعر العنصرية (بالطبع ليس لدى الجميع)، ولكن مؤشرات الرأي العام والإستبيانات تشير بصفة عامة إلى تراجع ذروة شعبية أحزاب اليمين.

و في مقالنا هذا نرغب في تسليط الضوء على ما نجم عن الحرب على كورونا، حيث برزت مظاهر و حتى فضائح رافقت الوباء في أوروبا وأمريكا ، و فيما يلي بعض منها:

ـ فرنسا تسرق (١٣٠) ألف كمامة كانت متوجهة إلى بريطانيا.

ـ إيطاليا تستولي على باخرة محملة بمعقمات طبية كانت متوجهة إلى تونس .

ـ جمهورية تشيكا تستولي على شحنة أدوية صينية مرسلة لإيطاليا .

ـ ألمانيا تستولي على شحنة كمامات وهبتها الصين لإيطاليا وشحنة أخرى، و هي في طريقها إلى النمسا.

ـ في أحد المطارات بكينيا في أفريقية إختفى (٦) مليون قناع طبي كانت مشحونة في طريقها إلى ألمانيا .

ـ في أستراليا وقعت داخل المتاجر معارك بين الأستراليين للحصول على المحارم و الكمامات و مناديل الحمامات.

ـ و جرت معارك بين الأمريكان أيضا على الكمامات ومناديل الحمامات و شراء وتخزين الأسلحة والأعتدة.

ـ و في مدن أوروبية جرت معارك بين الأوروبيين للحصول على الطعام والشراب والمخدرات.

ـ و في كثير من المستشفيات الأوروبية صار حصول المصاب بكورونا على سرير داخل مستشفى بالواسطة وبالرشوة.

ـ و في أوروبا إمتنع أبناء أو زوجات أو أخوان عن الزيارة في المستشفى لأقاربهم المصابين بكورونا خوفا من العدوى !

- رفض بعض الأوروبيين إستلام جثث موتاهم و لم يدفنوهم و بدلا عنهم قامت الجهات الرسمية بذلك .

ـ تأكد أن دولا أوروبية مهمة تعاني عجزاً فاضحاً بالمستشفيات والأجهزة الطبية.

ـ ظهر أن تركيا تمتلك جسماً طبياً يبلغ ضعف الجسم الأوروبي مجتمعاً !

و في المقابل نتج من وباء كورونا أيضا ما يمكن بيانه على النحو التالي:

١. أن الناس لم يعد يهمهم خطر الموت وهذا أمر غريب، ونظن أن الناس لم تعد تخاف الموت لسببين:

- الأول أنهم صاروا يواجهون الموت يومياً، مثل بلداننا العربية و إن كان موت العرب من سنوات لأسباب غير الكورونا،

- الثاني أن الناس في أوروبا يعيشون درجة من الرفاهية والتحرر يستحيل عليهم قبول العودة إلى عصر منع التجول وإيقافهم في الشوارع و تعرضهم إلى فحوصات المراقبين الصحيين، أو إجراءات الشرطة و رجال الأمن.

٢. عودة الأوروبيين إلى تخزين المواد الغذائية والضروري من الحاجات و هذه عادة تركوها من عقود طويلة.

٣. البلدان الرأسمالية في أوروبا كشفت عن مستوى منخفض جداً من القدرة على مواجهة الكوارث. وهو ما يفسر شبه إنهيار الخدمات الطبية في إيطاليا وبريطانيا وفرنسا وأسبانيا. بعكس الصين التي تمكنت من بناء مستشفيات عملاقة في أيام، وكذلك تركيا،

٤. كوبا الإشتراكية لم تمتنع عن تقديم مساعدات طبية مهمة إلى إيطاليا التي يحكمها حزب يميني، و هذه المساعدة لم تكن للحزب ، بل للشعب الإيطالي الذي قدر المساعدة غاية التقدير وكان لها أثرها العميق بمشاعر الناس.

٥. أثبت الوباء أن أي حرب بايولوجية ستكون كوارثها فوق قدرات تحمل أي بلد في العالم، وتجربة كورونا كشفت أن الصرح الحضاري العالمي سيصاب بانهيار كبير إذا ما فكرت أي قوة في العالم بإستخدام أسلحة الدمار الشامل، وأن مشكلات الكوكب الأرضي لا يحلها إلاّ الحوار في ظل السلام ، و إقامة علاقات إقتصادية و سياسية عادلة لحل مشكلات الإنفجار السكاني، وأن أفكار التحريض على الصراع وإزاحة الآخرين هي أفكار جنونية وستقضي على البشرية بكل تأكيد إذا ما فسح لها المجال .

٦. ظهرت فكرة عامة، حتى لدى أكثر المراقبين حيادية، و هي أن الوباء أثار قلقاً بخصوص هل هناك حقيقة مخفية أو مجهولة، تتردد القوى الكبرى في الإفصاح عنها.

٧. هناك من زعم وجود معلومات تمتنع حكومات الدول عن الإفصاح عنها، لأنها ستمس الأمن القومي لدول عظمى. و كان وزير الصحة الفرنسي قد ألمح إلى ذلك.

٨. يتردد أن العلاج الفعال من وباء كورونا قد تم التوصل له، كما توصل العلماء إلى صنع المصل المضاد. ولكن الشركات المصنعة للدواء ، بريطانية وألمانية، وفرنسية، وربما أمريكية، تتفاوض بشأن التفاهم على حجم إنتاجه وسعره، وقطاعات تسويقه، والأولويات في التوزيع وحقوق الإنتاج لأن القضية تتعلق بمبالغ تصل إلى عشرات مليارات الدولارات.

٩. في الوقت الذي تسعى قوى اليمين في العالم إلى التصعيد، والتوتير في العلاقات الدولية، أثبت وباء كورونا، أن ما تحتاجه البشرية حقاً وفعلاً هو المزيد من التعاون بين شتى أنظمة العالم.

وتوفير مستشفيات و كادر طبي و مستلزمات طبية و مختبرات و أدوية أكثر بكثير مما عليه الحال الآن.



وما يعلم جنود ربك إلاّ هو...

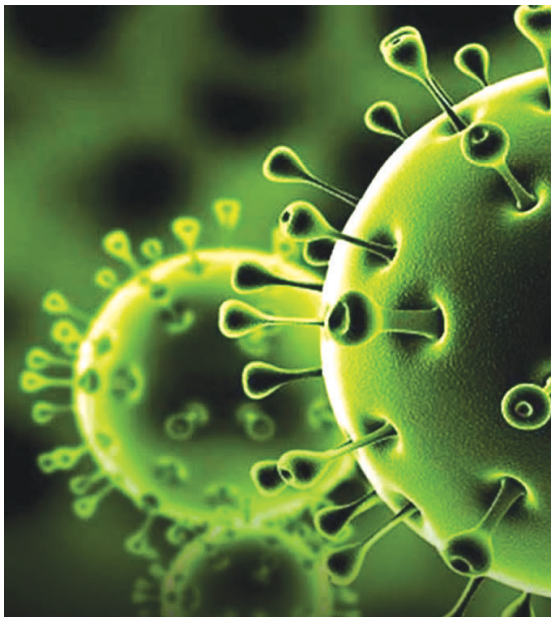
كتابة: صفاء لولو
كاتبة من لبنان

فجأة وبلا مقدمات وقفت عجلة الحياة، ومنع خروج الناس من بيوتهم إلاّ للضرورة، وتعطل التبادل التجاري بين الدول، و جرى إيقاف وتعطيل كثير من خطوط الطيران، وإلغاء كل الفاعليات والتجمعات بما فيها الصلاة في المساجد. أهي إرادة الله سبحانه و تعالى لينبه البشرية لتدرك لا لتترك، و لتنهض لا لتمرض، ولتستيقظ لا لتنام، ولتبعث لا لتموت. أأوقفنا الله تعالى ليلفت إنتباهنا وليسألنا جميعا أين تذهبون !!

وليذكرنا بأنه الفعال لما يريد، وأن تلك القوة المادية التي خطفت أبصارنا، والتقنيات المتطورة التي سلبت عقولنا، ليست إلاّ لعباً ولهواً، قياسا على قوة و عظمة الله سبحانه و تعالى، وإذا بكورونا المخلوق الذي لا يرى بالعين المجردة جعل الكل عاجزاً أمام قدرته عزّ و جلّ، ولنتيقن أن رؤيتنا للمستقبل وإستشرافنا لمعالمه لن تستقيم بمعزل عنه سبحانه القائل (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا): الكهف (٢٣، ٢٤).

ولنعيد ذكر الله تعالى إلى القلوب الصادئة، والنفوس الخاوية، والعقول المضطربة، والعيون الزائغة، والأسماع المشوشة.

هذا الشبح المخيف غير المرئي الذي أرعب العالم بأكمله، هذا الفايروس ما هو إلاّ جندي من جنود الله عزّ و جلّ أرسله لنا المولى لحكمة إلهية، ودروس عظيمة للبشرية، وقد



إختلفت تحليلات البشر عن هذا الفايروس فمنهم من قال أنه غضب أرسله الله ليعاقب به العالم، ومنهم من نظر له نظرة إيجابية فقررأنه مخلوق مأمور بأمر الله، وذهبت فرضيات بعضهم إلى إنه نتاج تخطيط وترتيب بين أقطاب العالم، والدول الكبرى التي تهيمن على العالم بقوة جيوشها و إقتصادها وبواسع علمها، وبماضيها الإستعماري الذي لا يزال يهدد شعوب العالم، و يريد السيطرة عليهم بزرع شرائح لبرمجة الإنسان تسيره على وفق ما يطلب منه المبرمجون له، و ذلك بدس هذه الشرائح مع اللقاح المضاد هذا الفيروس، و قيل إنها صورة مبتكرة للإستعمار الجديد ،

و على الرغم من هذه الآراء و التكهنات، و

بغضّ النظر عن صحتها أو خطئها، فقد ظهر كورونا وما زال يواصل الإنتشار في شتى أرجاء العالم، وتسبب في وفاة مئات الألوف من البشر حتى الآن، بينما وصلت الإصابات عدة ملايين. وتشير بعض الدراسات إلى أن نحو ٨٠ ٪من المصابين بالفيروس يشعرون بأعراض طفيفة أو لا تظهر عليهم أعراض على الإطلاق، بيد أن عددا قليلا آخر قد يعاني من أعراض مرضية حادة. ولسنا بشأن التحدث عن أعراضه التي شاع ذكرها بين الناس، كالحمى والسعال الجاف المستمر وصعوبة في التنفس، بل نحن في مقالنا هذا نذكر هذا الفايروس لنأخذ العبرة مما حصل، و لنتعرف على آراء الناس بعدما فرضت عليهم الإقامة الجبرية في بيوتهم و نتساءل عما تغير في حياتهم اليومية ؟ و كيف ستكون أحوالهم بعد إن تعود الحياة إلى طبيعتها إن شاء الله.

و هكذا إخترنا الحديث إلى أشخاص مختلفين و كان أولهم فراس الطالب الجامعي في السنة الرابعة – فأخبرنا عن عدم خوفه من هذا البلاء بل يُفضل أخذ العبرة منه، و مضى إلى القول أن تقارير الأرصاد الجوية تفيد بإن صيف ٢٠٢٠ ربما سيكون أسوء صيف يمر بتأريخ البشرية بسبب نقص نسبة الأكسجين وزيادة نسبة الرطوبة في الجو بشكل سيء جداً. و مع ذلك وفي الوقت نفسه تنخفض نسبة التلوث في العالم بنسبة ٤٨٪ ، كما أن فتحة الأوزون بدأت في الإنغلاق على نفسها، وإنخفضت نسبة الإنحباس الحراري، و هكذا البيئة الأم بدأت بالإنتعاش و بنفسٍ جديدٍ فعلا، و هذا يذكرنا بقوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم).

أما محمد - صاحب محل تجاري – فيقول: الحمد لله الذي أعادنا إلى البيت لنقعد فيه أصحاء قبل أن يقعدنا المرض أو الألم ، و لنستمتع بصحبة أهلنا وأولادنا ومازلنا بصحة جيدة، و نشعر ببعض الأمل. و لنا أولاد كبروا ولم نتعرف عليهم كما ينبغي، بل ربما لم نكتشفهم على حقيقتهم ولم نشعر بتغير ملامحهم وإهتماماتهم وأفكارهم وتطلعاتهم، فنحن بالنسبة لهم كأننا ضيوف، فنحن دائما إما نذهب للعمل أو نعود منه، وحتى عندما نجلس في البيت ننصرف إلى إكمال الأعمال وإجراء الإتصالات بالآخرين، و غيرها من مهام و واجبات الحياة اليومية، فكانت هذه الإقامة الإجبارية مناسبة لإعادة التواصل بأولادنا، كما أنها من جهة أخرى ربما فرصة ليذكرنا الله تعالى وسط ضجيج الحياة وسرعتها الهادرة .

و إلتقينا (مها) وهي ربة منزل فحدثتنا عن تجربتها في مكوث جميع أفراد العائلة مجتمعة في البيت بالقول : ما هي الإّ مناسبة لترميم العلاقات وتناسي الخلافات وتوثيق الصلات، و قد أصبح الجميع يشعر بما يعاني غيره وليس همه نفسه فقط، وشعر كل منا أنه لن يجد مثل أخيه من يسانده في إنجاز مهامه، وحتى من أجل مشاركته فيما يحب، و ظهر أن ليس لديه أحد غير الأخوة في ظل تجنب الإختلاط والزيارات، كما تدرب الأولاد على ترتيب حاجاتهم الشخصية، وعدم الإعتماد على أمهم فقط، التي كان الجميع يتركها تقوم بجميع المهام وحدها، بحجة ضيق وقتهم و عدم إتساعه لإنجاز ما يتوجب عليهم.

و لهذه المناسبة أود أن أحيّ الطاقم الطبي وقسم التمريض و الجيش والأمن العام، الذين ما فتئوا يذهبون إلى دوامهم ويتعرضون للإحتكاك المباشر بالمرضى و خطر الإصابة لم يثنهم عن مواصلة عملهم بكل جدّ وإجتهاد.

أما جليلة و هي ممرضة، ففي ظل الأزمة الحالية حرمت من رؤية والدتها خوفاًعليها، وقد إخبرتنا عن تجربتها بقولها: إنني أبكي إشتياقا لأمي التي حرمت حضنها الدافئ، فنحن مضطرون أن نأخذ جميع الإحتياطات الوقائية في تعاملنا مع المرضى، و لا نستطيع الخروج من المبنى إلاّ لمكان الحجر، كي

لانقوم بنقل الفايروس، ولا نتسبب في عدوى لأحبائنا وذوينا، لذا لا أستطيع التواصل مع الأهل و الأصدقاء إلاّ بوساطة الهاتف، وأنا أعلم مدى حاجة والدتي لي، ولكن هذا ما تفرضه علينا مهنتنا و واجبنا الإنساني تجاه الوطن، و هذا هو حال زملاء لي حرموا هم أيضا من عائلاتهم وأولادهم للسبب نفسه، لذا أدعو الله أن يرفع البلاء بأقرب وقت، و أن ينجح العلماء في التوصل إلى العلاج وإيجاد الدواء، وأدعو الجميع للإلتزام بوسائل الوقاية والتباعد الإجتماعي، حتى نعود إلى حياتنا الطبيعية السابقة بأسرع وقت ممكن إن شاء الله. و إلتقينا زينة الطالبة الجامعية (سنة ثانية هندسة ميكانيك)، فحدثتنا عن تجربتها في البقاء بالبيت بعد أن كانت تقضي معظم نهارها في الجامعة ، والآن تجلس بالبيت أمام شاشة حيث تتلقى دروسها من قبل دكاترة بذلوا جهدهم لتوصيل المعلومة ولو عن بعد. فلقد فرضت الأزمة التعليم عن بعد لجميع المستويات التعليمية ، على الرغم من المشاكل التي واجهت هذه الطريقة من ضعف الإنترنت وضغط مادة الدروس، إلاّ إن هذا الأسلوب كان أفضل الحلول في هذه الأزمة، فما لا يدرك كله لا يترك جله.

و قد علمنا أن البقاء في البيت و العزل بقصد الوقاية ربما عند بعضهم كان مناسبة للتثقيف و زيادة الوعي ليس بالوقاية من الفايروس فحسب، إنما بطرح الأفكار التي تساعد على الإستفادة من أوقات فراغ الناس في بيوتهم، و عن هذا تقول المربية إيناس: قد يكون هذا الوقت الأفضل لحفظ القرآن وتلاوته وتدبره مع الأولاد لأن الدراسة والأشغال توقفت و أصبح الكل متفرغا، و قد يكون هذا الإبتلاء منحة لنا من الله عزّ و جلّ لنزرع في نفوس أولادنا ما لم نستطعه فيما سبق، فالإجتماع نعمة للأسرة إذا كان للعبادة وتلاوة القرآن وفعل الطاعات وأعمال الخير، بعد أن فرقتهم مشاغل الحياة وضيق الأوقات وكثرة الإنشغال بأمور الحياة اليومية.

وهناك من يقول يارب حرمتنا من تراويح رمضان و الحقيقة أن التراويح يمكن أن تصلى في المنازل، و صيامنا رمضان كان أفضل رمضان ، فقد كان خاليا من الرياء والمعاصي العلنية في لياليه المقدسة، و عدم والإنشغال عن القيام بمهامه الأساسية لأي سبب ...لقد كان رمضان بين كل عبد وربه ، والله أعلم بالسرائر و ما تخفي النفوس والحمدلله دائما وأبدا.

و كان لنا لقاء مع ياسمين – المتخرجة في الجامعة قسم علم النفس – التي حدثتني عما فعلته في هذه العطلة الإجبارية حيث إستفادت من الدورات المجانية التي منحتها google كما أنها تعرفت على التأريخ الإسلامي بوساطة الإنترنت، و مواضيع أخرى كثيرة لم تكن تعرفها عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكما تعلمت أمورا عن دينها لم تكن مطلعة عليها بسبب طبيعة تخصصها والتعليم المدرسي البعيد عن الشريعة الإسلامية. فما كان منها إلاّ أن زادت تعلقاً بالقصص الدينية وأحداثها التأريخية ومعرفة واجباتها الدينية حتى أصبحت تعتز بها وتفتخر أكثر من قبل.

و من الجدير بالذكر أنه قد بات من المعلوم أن المستشفيات لن تكون قادرة على مجابهة مضاعفات المرض إذا إنتشر بكثرة، فنسبة الذين يحتاجون إلى العناية المركزة لا تتجاوز ٥٪ من المصابين، إلاّ أنها ستكون أعدادا كبيرة إذا أصبح المصابون يعدون بالملايين كما هو حاصل الآن، لذا شددت السلطات الرسمية على إلتزام تعليمات الوقاية الصادرة عن السلطات الصحية، لأننا مع الأسف ما زلنا نرى ونسمع من يشككون ويستخفون بالمرض ويخرجون جماعات للأسواق .

ومن الناحية الطبية لا علاج حتى الآن يشفي من هذا الفايروس، و ما يتم القيام به

هو إجراءات وقائية كي لا تنتقل العدوى و يتكاثر المصابون نتيجة من ذلك، ولهذا ينصح بالفصل بين الناس، والتقليل من المخالطة والتنقل ما أمكن وعزل المصابين.

وعن تجربتها مع المرض تقول معلمة اللغة الإنكليزية (لينا): لقد سمعت أن المرض وصل إلى منطقتنا، و هكذا أصبت بهذا الفايروس، الذي أحدث حالة من الفزع لدى الناس، لذا أعتقد أن من واجبي أن أستعرض ببعض الكلمات تجربتي الإصابة بهذا الفايروس، و كيف شفيت منه بفضل الله ، وذلك لكي يعرف الجميع الحقيقة، و أختصر بالقول لقد إنتقلت إليّ عدوى هذا الفيروس و أنا في طريقي إلى كندا- أنا وأولادي الثلاثة- لذا أوضح لكم إن هذه الإصابة توجب عزل المريض من أجل عدم نقل الفيروس إلى غيره، و خاصة كبار السن والذين يعانون من أمراض مزمنة، أما الأعراض فهي الرشح و الصداع و ضيق التنفس، وهناك أشخاص كثيرون لديهم الفيروس ولا يشعرون به، و لا تظهر عليهم أعراضه، و بالطبع هذا الإختلاف بين الناس سببه عدم تشابه أجسامهم و لا قوة المناعة لديهم و غير ذلك، ولكن معظم من في منطقتي أصيبوا برشح بسيط و نحن أنا و عائلتي ما عانينا من صداع أو حمى، لذا أطمئنكم و أقول لا تخافوا، و إن أسلوب العزل و البقاء في البيت هو الحل المفيد في مواجهة هذا الوباء.

وفي ظل ما نشهد من ضغوط إنتشرت السخرية في منصات التواصل الإجتماعي عن علاقة الأزواج ببعضهم بسبب الحجر المنزلي، فسألنا عن ذلك و قد أجابنا السيد إبراهيم - صاحب مكتبة – فقال: إن من بنت زواجها على طاعة الله ستعيش سعيدة ، والزواج الناجح لن يوصل الزوجين إلى أن يضيق أحدهما بالآخر، بل سيقوي الرباط المقدس بينهما، وعن تجربته قال: لطالما تساءلنا عما تفعله المرأة بالمنزل،



فلديها المتسع من الوقت لتنجز ما يتطلب منها بكل يسر و راحة، فهناك تكامل بين الرجل والمرأة في الحياة، لكن في الحقيقة لابد من الإعتراف للمرأة الزوجة بجميل ما تفعله لتؤمن سبل الراحة والطمأنينة لأسرتها، فلقد تعطلت كل الوظائف والمهن ماعدا وظيفة الأم فهي ٢٤ ساعة موجودة لتساعد و تربي وتطبخ و...إلخ. فلنستوصي بالنساء خيرا كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و في ظل الذعر العالمي من إنتشار الوباء والتوصية باتخاذ التدابير اللاّزمة لمواجهته، فإن تقريرا لمجلة أمريكية سلط الضوء على تعاليم نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الخصوص، حيث إستشهدت المجلة بإرشاداته عن النظافة، وبحديث شريف له يوصي بعدم دخول أرض حلّ فيها وباء، وفي المقابل عدم الخروج منها، وهذا الإجراء نسميه في وقتنا الحالي «الحجر الصحي «. والتقرير نشرته مجلة «نيوزويك» بعنوان «هل يمكن لقوة الصلاة وحدها إيقاف وباءٍ مثل كورونا ؟ حتى الرسول محمد كان له رأيٌ آخر».

ففي أيامنا هذا قام خبراء ومختصو المناعة بالتشديد على توصية الحفاظ على النظافة

والحجر والعزل عن الآخرين، باعتبارها أكثر الإجراءات فاعلية لاحتواء كورونا، أو منع إنتشار الأمراض المعدية عموما، إلاّ أنه سبق هؤلاء شخص آخر أوصى بالنظافة والحجر عند إنتشار وباء، إنه نبي الإسلام محمد صلى الله عليه و سلم، وذلك قبل أكثر من ١٣٠٠ عام. ولفتت المجلة الإنتباه إلى أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم حث البشر بقوة على المحافظة على النظافة و الوقاية من العدوى، و قد عززت المجلة ذلك بالإشارة الى جملة من أحاديث الرسول الكريم عن ذلك، منها قوله صلى الله عليه وسلم (النظافة من الإيمان). ومضت المجلة إلى الحديث عن تعاليم أخرى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيما يخص المرض و ضرورة علاجه. وترجمت له نص حديثه عن التداوي حيث قال (تداووا فإن الله عزّ و جلّ لم يضع داء إلاّ وضع له دواء إلاّ الهرم).ويتضح من تقرير مجلة نيوزويك الإمريكية أنه ينبغي عدم مواجهة الأمراض مثل كورونا بالإقتصار على الدعاء والصلاة، بل ينبغي الأخذ بالأسباب، مستشهدة بوصايا النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

و لهذه المناسبة نذكر ما قاله الداعية الاسلامي د.محمد راتب النابلسي : إن فيروس كورونا جند من جنود الله غير المرئية، وهو درس للبشرية كلها، وإستشهد بقول الله تعالى:

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(السجدة:٢١)

وأوضح أنه لا يوجد شر مطلق من وراء ظهور هذا الفيروس وإنتشاره منوها بقوله: الشر يتناقض مع صفات الله عزّ و جلّ، فسبحانه تعالى لا يخلق شرا مطلقا. إنما هو كالعرض العسكري، وهذا العرض رسالة للدول المجاورة من الله عزّ و جلّ بعد أن إبتعد الناس عن الدين والحق والعدل، وأصبح القوي هو صاحب الحق، والضعيف لا حق له، وبعد أن إمتلأت الأرض ظلماً وجوراً، جاءت رسالته تعالى كالعرض العسكري، حيث سخر أضعف مخلوقاته، و هو مخلوق لا يرى بالعين المجردة فعطل الحياة في الأرض بكاملها. وأضاف (أنا أصدق أنها رسالة واضحة من الله وضوح الشمس لأهل الأرض جميعاً، رسالة مفادها أن الله موجود عادل حكيم في الدنيا والأخرة، شردنا عن منهجه، و إتهمنا من تمسك بمنهجه إتهامات باطلة، ثم بنينا القوة وإعتبرنا الحق هو القوة، بينما الله سبحانه صاحب الحق و هو القوي، ان هذا الفيروس كان رسالة من الله يقول فيها : إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري، مبينا أن التقرب إلى الله ومعرفته والإستقامة على منهجه هو المخرج من هذا البلاء، مع الأخذ بالأسباب وإتباع التعليمات الوقائية ألتي تصدرها المؤسسات الصحية للدول).

ويقال إن المنح تولد من قلب المحن، فهذا الوباء مهما طالت مدة مكوثة في الأرض سيرحل، ويكون ذكرى في المستقبل القريب إن شاء الله، لكن ما بعد الوباء لن يكون كما قبله، فالأمر بحاجة للتأمل عن حال البشر بعد الوباء، و طالما نحن نعيش في عالم المصالح فيجب أن نعود الى المبادئ، لأنها تسمو بالإنسان وتطمئنه. و لنحمد الله في السراء والضراء فهذا المخلوق الذي لا يرى بالعين المجردة علمنا دروسا عظيمة جهلها أكثر البشر،علّمنا أن نستشعر قيمة النعم التي إعتدنا عليها، وغفلنا أن نشكر المولى عزّ و جلّ على نعمه الظاهرة والباطنة، علّمنا أن نعود إلى الله ونحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

فهذه محنة في طياتها كثير من المنح، فلنحمد الله على كل ما قدره لنا ولنجعل من بيوتنا مساجد مضيئة بالعبادات والطاعات، ولنجتهد بالدعاء حتى يرفع عن بلاد المسلمين الوباء والبلاء والغلاء ويكرمنا بالخيرات والطاعات إن شاء الله .



العُملة وسيلة للعدوى

بقلم: الدكتور يوسف قريشي
رئيس الجمعية العربية لمكافحة المخدرات

هل هناك خطورة على الإنسان بفعل تداول العملة بين الأيدي الملوثة؟ فكيف تتلوث النقود؟ وهل لها ضررخاص بالأطفال؟ وما هي الطرق التي تحدّ من خطورة استعمالها وتداولها؟ وهل من ميكروب في جيوبنا وفيروس في حافظة نقودنا؟.وطالما نحن والعالم بأسره يعاني من إنتشار كورونا، الذي يفتك بالعالم، فإن للعملة الورقية و المعدنية دورا في انتشار هذا الوباء القاتل.فعند التعامل بها و تناقلها بين الأيدي تحمل النقود قاذورات وجراثيم وبقايا أطعمة وغيرها . وعلى وفق بعض الدراسات العلمية الحديثة تأكد أن العملة الورقية أو المعدنية تعتبر ناقلا لأكثر أنواع الأمراض الخطيرة. وعند فحص مجاميع من عملة ورقية ومعدنية يتبين للباحثين أن ٩٤٪ منها تحمل فيروسات لإلتهابات خطيرة تصيب الجهاز التنفسي، وتسبب أنواعاً مختلفة من الحساسية، فهي قبل أن تصل إلينا تمر بسلسلة طويلة من التعاملات بأساليب خاطئة فبعضهم يضعها في مخبأ ملاصق لجسده، و بعضهم الآخر يستخدم لعابه في عدها، و بعض الأطفال يضعونها في افواههم بغياب الرقابة أو انعدام المعرفة بمخاطرها. والمعروف أن كثيرا من الباعة في الأسواق الشعبية يتركون النقود في أدراج متسخة، أو أكياس ورقية فيها التربة، ومنهم من يضعها في أوان معدنية تتجمع فيها الحشرات، خصوصا لدى تجار الخضر والفواكه واللحوم والأسماك، أما العاملون في محطات الوقود والتشحيم فيعتبرون الأكثر تلويثاً للعملة، و كذلك العمال في المصانع و ورش إصلاح السيارات وغيرها.وهذا مما يساعد على جعل النقود وسيلة إنتقال عدوى الأمراض، حيث يلتصق بسطحها الميكروبات والطفيليات فتصبح أسهل وسيلة لنقل المرض و بأسرع الطرق للبشر، والأمراض التي تتسبب بنقلها العملة كثيرة، وفي ضوء الدراسات التي أجريت على النقود يتضح بما لا يقبل الشك أنه بوساطة النقود يمكن أن تنقل سلسلة من الأمراض كالأمراض البكتريولوجية، وتمثلها الميكروبات التي تعيش في فم الإنسان المصاب، وعند عدّه النقود أو وضعها بين شفتيه تنتقل الأمراض البكتريولوجية المعدية ومنها كورونا، والأمراض المعدية للكبد والنزلات المعوية الحادة ، مثل السالمونيلا والدوستساريا الباسيلية أما النوع الثاني فهو الأمراض الطفيلية كبويضات الدود الدبوسية «إكسيوريس» والدود الشريطية وأكياس الجياردیا والاكياس الاميبية المسببة للدوستاريا المعوية. كما أن العملة قد تتلوث بالمواد المخدرة عند بيع المخدرات، أو إستخدامها لإستنشاق المادة المخدرة ، وكذلك عند إستعمال آلة عدّ العملة في المصارف و غير ذلك. لذلك يجب غسل الأيدي بعد التعامل بالنقود، و التعامل السيء قد حول نعمة العملة إلى نقمة و هذا التعامل هو الملوث الأساسي للعملات ، و من الجدير بالذكر أن الصرافين و العاملين في القطاع المصرفي هم عرضة أكثر من غيرهم للعدوى وأكثر الأمراض التي يصاب فيها الصرافون فطريات تسمى الـ(تينيا) وتنتقل من الأظافر إلى اليدين ، ومن ثم إلى باقي الجسم وقد يصاب الإنسان بفيروس «هيبريس» البسيط لكن سرعان ما يتحول إلى إحمرار وتقشر اليدين. هذا و قد لجأ بعض الصرافين و المصرفيين أيضا إلى إستعمال القفازات البلاستيكية، لكن سرعان ما تبين أن هذه الطريقة غير مجدية لأنها تعيق عملية عدّ الأوراق, و لكن على الرغم من هذه الإحتياطات ، فما من أحد يمكنه الإستغناء عن التعامل بالعملة فقد صارت و كأنها شرّ لابد منه..

نترككم بحفظ الله



كيف تتحاور براحة وإنطلاق؟

كتابة : د. ربى شعراني
أستاذة جامعية - لبنان

لتحاور الغير بأسلوب سديد يكفل لك الهيمنة على توجهاته وأفعاله، يجب عليك بداية ترك إنطباع أولي رائع، فهو يمثل أكثر من نصف المهمة التي تودّ القيام بها. وتذكر قول الحبيب صلى الله عليه وسلم:(المؤمن كيّس فطن) وما عليك في الخطوة التالية إلاّ إعتماد الأساليب التالية:

إليك بعض الإفتتاحيات للمحادثة المرجوّة:

إرض غرور الغير واجعله يشعر وكأنه أهم شخص في العَالم، كأن تبدأ بقولك له: لطالما كنت مولعاً بالتصوير ولكنني لا أمارسه على الإطلاق، فهل يمكنك أن تطلعني على المزيد عنه؟ لطالما تمنيت أن ألم بالمزيد من المعلومات عن إدارة الأعمال، هل لك أن تحدثني عن منصبك كمدير وطبيعة العمل الذي تضطلع به؟ لم أرَ مثل هذا الكتاب من قبل، هلاّ أخبرتني أين أستطيع الحصول على مثله لزوجتي؟

كيف تستطيع الإحتفاظ بهذا السلوك الهادئ تجاه الحياة في ظل ضغوط العمل التي يجب أن تتحملها يوميا؟ لم يسبق أن التقيت بفني متخصص مثلك، أستمتع بالحديث معه، هلا أطلعتني بالمزيد عن تخصصك؟ إني معجب باسمك كل الإعجاب هلاّ أخبرتني بالمزيد عن أصله ومعناه؟

كيف تحكم سيطرتك على المحادثة فورا؟

إجعل من نفسك المسيطر على المحادثة مع الغير، فكل ما يلزم هو أن تملك زمام المبادرة وستتحكم بالتالي في خضم المحادثة. يتقبلك بعضهم بحسب تقديرك لنفسك، فإذا تصرفت وكأنك نكرة وقلّلت من شأن نفسك فسيعاملونك على هذا الأساس. وإن تصرفت كشخص ذي سلطة، فسيتعامل معك الآخرون على وفق ذلك. فتولّ دور القائد وسيطر على المحادثة وسيخضع الآخرون لك. وتذكر قول الحبيب صلى الله عليه وسلم:(المؤمن القوي خير عند الله من المؤمن الضعيف).

كيف تحصل على خدمة متميزة من موظف ما؟

إذا أردت معاملة خاصة وخدمة متميزة في مطعم ما أو محل مزدحم، فألقِ على مسامع الموظف مجاملة غير متوقعة وسترى المعجزات. وتذكر قول الحبيب صلى الله عليه وسلم:(وخالق الناس بخلق حسن).

كيف تجعل الغير يبذل مافي وسعه لمساعدتك؟ قل له شيئاً يشعره بأنه أرفع منك شأنا ومنزلة، بصورة أو بأخرى، فأكثرهم يشعرون بذلك. والسبيل الأكيد هو تأكيد علمك بتفوقهم. كل ما عليك طلب النصح أو الرأي من أحدهم أو دعمه... وسيبذل كل مافي وسعه ليساعدك. وتذكر قوله تعالى:(إدفع بالتي هي أحسن)(فصلت،٣٤).

كيف تضمن إقامة صداقة مع الغير أول وهلة؟

ركز في إهتمامات الغير وليس إهتماماتك أنت فقط. وأولى الأساليب فعالية ثلاثة، مرتبة حسب الأهمية: إسم الشخص، مهنته وهوايته. وتذكر قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: (وازهد فيما عند الناس يحبك الناس).

كيف تتحكم في مواقف وإنفعالات الغير؟

الشخصيات المتشابهة دائماً ما تجذب بعضها الآخر. عامل الغير بطيبة قلب وسيعاملك بالمثل: و لاحظ أن من كان خسيساً سيتعامل معك بخسة، و من هو فظ سيتعامل معك بفظاظة. وتذكر دوماً حديث الحبيب صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). ان إبتسمت للغير سيبتسم وتذكر دوماً حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تبسمك في وجه أخيك صدقة).

وفي كلمة موجزة تذكر هدي الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في حواره مع الغير لتصبح بارعاً في التحاور براحة وإنطلاق...

EDZ
Electricité de Zahlé

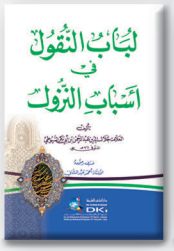


بدنا نبقى عَ ضـو
الضوّ بـدو إنتـاج

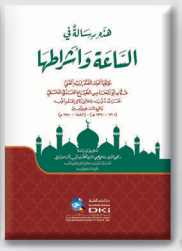
شركة كهرباء زحلة

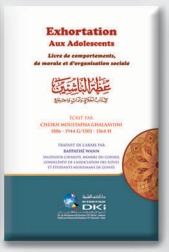










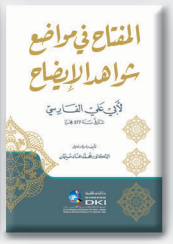














اللغات التي تنشر بها: العربية والفرنسية والإنكليزية والإسبانية

عدد الإصدارات لتاريخه: أكثر من ٧٥٠٠ عنوان كتاب

عدد الإصدارات السنوية: أكثر من ٣٥٠ عنوان كتاب جديد

هاتف: 12 / 11/ 804810 5 961+ ـ فاكس: 804813 5 961+
ص.ب: 9424 ـ 11 بيروت ـ لبنان رياض الصلح ـ بيروت 2290 1107
e-mail: sales@al-ilmiyah.com ـ info@al-ilmiyah.com
www.al-ilmiyah.com

